لا ترحل

Don't Leave

صنان حمود الورافي

لا ترحل

Don,t Leave

حنان حمود

٢٠١٩

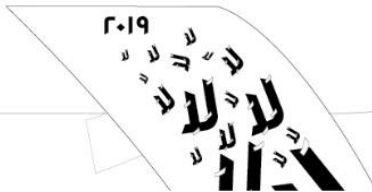

لا ترحل: حنان حمود الورافي

رقم الإيداع: ٢٠١٩/١٣٥٦٣

ردمك: ٩٧٨-٩٧٧-٦٧٣٠-٣٥-٩

إن منصة كتبنا للنشر الشخصي غير مسئولة عن أراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الأراء الواردة في هذا الكتاب عن أراء المؤلف ولا تعبر بالضرورة عن أراء المنصة والعاملين فيها.

حنان حمود

إضاءة

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا
فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ
أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ٣٥﴾

القصص: ٣٥

الإهداء

إلى كل أخ رحل عن أخيه

إلى كل أخ يلتحف التراب

إلى كل أخ بات بين الصفائح

إلى أحمد أخي...

أهدي هذا العمل

يُحكى أنَّ... الحجاج بن يوسف

الثقفي أمر بثلاثة رجال أن تضرب أعناقهم، فلما مثلوا أمام السياف كي تضرب أعناقهم، لاحظ الحجاج امرأة تبكي بحرارة فلما سأل عن سبب بكاها أخبره رجاله بأن هؤلاء الرجال هم زوجها، وولدها، وأخوها، فقرر الحجاج أن يعفو عن أحدهم إكراما لها، فخيروها أن تختار أحدهم كي يعفو الحجاج عنه وينجو من عقوبة الإعدام، فخيم الهدوء على المكان، وحُبست الأنفاس وبلغت القلوب الحناجر حتى قالت مقولتها الشهيرة: الزوج موجود، والولد مولود، والأخ مفقود. أختار أخي.. أعجب الحجاج برجاحة عقلها، وطلاقة لسانها، فقرر أن يعفو عنهم جميعاً.

إن تلك المرأة حين اختارت أخاها فكأنما لسان حالها يقول له:

لا ترحل.

- لا ترحل كلمة لم تنبس بها شفاهنا عندما رحلوا، ولم تنطق بها ألسنتنا عندما غادروا، ولكن حروفها دوَّت في كل مكان، وضجيجها هز الأركان، وصداها أسمع كل الآذان.
- لا ترحل كلمة صرخت بها عبراتنا وتأوهاتنا وزفراتنا فغدت هي العنوان.
- لا ترحل كلمة نطقت بها أعيننا التي ارتعشت بالدموع، فقرأها وسمعها كل من نظر إلى تلك الأعين المفجوعة بفقدان الأخ.
- لا ترحل كلمة تحمل في طياتها معان كثيرة، بين جنباتها ألغاز مثيرة.
- لا ترحل كلمة كل حرف فيها له وقع في القلوب يدركه كل موجوع موتور غير مجبور.
- لا ترحل كلمة لها وقع صدى في قلوب تعاني من الوقائع والخطوب.

- لا ترحل.. فغدونا كمن يتوسل بها إليهم ألا يغادرونا، نشدهم نحونا، ويشدهم الموت نحوه، وحالنا يصرخ لا ترحل..
- لا ترحل ونحن نعلم أنهم قد رحلوا بلا عودة.
- لا ترحل ونحن نعلم أن قضاء الله نافذ، وأن أمر الله بين الكاف والنون.
- لا ترحل يا أخي، فإني دونك كالثكلى، في عداد القتلى.

كلمات حب، ومعاني وفاء، ود وإخاء، سطور إيمانية، وشواهد تاريخية، قصائد أخوية، لملمتها وصقلتها، لأقول لنفسي ولكل مبتلى مثلي: لست وحدك من تفوهت عبراته بـ "لا ترحل" مواقف بطولية، وروائع قصصية، وأحداث، وملاحم، ليدرك كل ذي أخ أنه ذو حظ عظيم.

معنى الأخ..!!

ذكر في المعجم الوسيط معنى الأخ كالتالي:

(أَخْ): اسْم صَوت يدل على التوجع والتأوه من غيظ أَو حزن.

(إِخْ): وَقد تفتح الْهمزَة صَوت يناخ بِهِ الْجمل وَبِمَعْنى كِخ أَي اطرَح.

(الْأَخّ، والإِخُّ): القذر.

(الأَخُ): من جمعك وإياه صلب أَو بطن أَو هما مَعًا وَمن الرَّضَاع من يُشَارك فِي الرضَاعَة وَالصديق وَفِي الْمثل (إِن أَخَاك من آساك) و (رب أَخ لَك لم تلده أمك) وأخو الشَّيْء صَاحبه وملازمه يُقَال هُوَ

أَخُو أسفار كَثِيرة، وأخو الْقَبِيلَة أحد رجالها، آخاء وإخوان وإخوة وَيُقَال إِخْوَان الوداد أقرب من إِخْوَة الولاد.

(الأَخَّ): لُغَة فِي الأَخِ، (دم الأَخَوَيْنِ) صبغ أَحْمَر يتَّخذ من شجر البقم وَغَيره.

(الأُخْت) مؤنث الأَخ، والمثيلة فيقال: رَمَاه الله بليلة لَا أُخْت لَهَا، أَخَوَات وَأُخْت يُوشَع كِنَايَة عَن الشَّمْس.

ولقد تأثرت نفسي وتأججت مشاعري، حين أتقنت العامة الفن وأجادت، فربط أجدادنا بين كلمة الأخ التي تعني (مَنْ جمعك وإيَّاه صلبُ أبٍ أو بطن أمّ أو كلاهما معًا، أو رضاعة)، وبين كلمة (أخْ) التي تعني صوت التوجع والتأوه والأنين، فقالت العامة: إنما سمي الأخُ كذلك لأنه متى سمع صوت التوجع "أخْ " فزع إلى أخيه يسانده ويؤازره.

لم يكن ذلك من العامة ومن حكماء أجدادنا لتقريب المعنى، أو للحضِّ على حب الأخ واحترامه،

أو لفض نزاع قائم بين أخوة، وإنما قال أجدادنا ذلك لأنها هي الحقيقة! هي حقيقة الأخ التي مازلنا نجهلها أو نغضُّ الطرف عنها، إنها حقيقة برزت في حرفين "أخ" والتي أعُدُّها أنا وأصنفها من إحدى عجائب اللغة العربية والتي أجاد أجدادنا توظيفها في أجمل وأعلى مقامات القرابة بعد الأب والأم وهو مقام الأخ.

لحظة من فضلك!!!

- عُرف بين العرب قديمًا وحديثًا أن لفظ الأخ يطلق على الصديق، وما كان ذلك ليكون إلا لأن قرابة الأخ هي أقرب ما يكون للإنسان. فلم تقل

العرب للصديق عما ولا خالا وإنما قالت أخا! فإذا ما بلغ الصديق من صديقه حباً وإخلاصاً ووفاءً الشيء الكثير سمي أخًا!

وإذا ما تلازم صديقان فلا يكادان يفترقان سميا أخوين وإذا ما وجد المرء من صديقه معروفاً وإحساناً وشيمةً ما قال: فلانٌ كأخي!

فقالت العرب: "رب أخ لم تلده أمك"، وقالت: "أخاك أخاك من واساك"

بل قالت: "أخو الوداد خير من أخو الولاد "

ورد في ديوان المعاني:

أخٌ لي كأيام الحياةِ إخاؤهُ

تلوّن ألواناً عليّ خطوبُها

إذا عبتُ منه خلةً فهجرتهُ

دعتني إليه خَلةٌ لا أعيبُها

وقال البحتري:

قدمتَ فأقدمتَ الندى يحمل الرضا

إلى كلِّ غضبانٍ على الدهرِ عاتبِ

وجئت كما جاء السحابُ محرِّكاً

يديك بأخلاق تفي بالسحائبِ

فعادتْ بك الأيامُ وهي كواكبٌ

جلا الدهرُ منها عن خُدودِ الكواعبِ

وما أنسَ لا أنسَ اجتذابَك همّتي

إليك وتزييني بأعلى المراتبِ

فيا خيرَ مصحوبٍ إذا أنا لم أقمْ

بشكرِك فاعلمْ أنني شرُ صاحبِ

وقيل أيضًا:

خليلٌ إذا ما جئتُ أبغيه حاجة

رجعتُ بما أبغي ووجهي بمائه

بلوت رجالاً بعده في إخائه

فما ازددت إلا رغبة في إخائه

علامة تعجب!

يمكن للأخ أن يكون صـــــديقاً ولكن لا يمكن للصديق أن يكون أخاً!!

لأن.. الأخ النســـــب رحم، يجب وصـــــله، آثم ففي صـــــحيح البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {خَلَقَ اللَّـهُ الخَلْقَ، فَلَمَّـا فَرَغَ مِنْـهُ قَـامَـتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَـهُ: مَـهْ، قَالَـتْ: هَـذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: أَلاَ تَرْضَـيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَـلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى

يـا رَبِّ، قـالَ: فـذاكِ} ثم قـالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ محمد: ٢٢

الأخ يرث ويورث قال تعالى في آخر سورة النساء:

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾ ﴾ النساء: ١٧٦

والأخ يحمل نسب أخيه فيلتقيان في نسب واحد، والأخ هو أولى بالمعروف من الصديق كما في العبارة التي اشتهرت على ألسن الناس اليوم

"الأقربون أولى بالمعروف" وعليه فإني أرى أنه يمكن للأخ النسب أن يكون صديقاً، ولا يمكن للصديق أن يكون أخًا نسبًا!!!

ولكن الجمال كل الجمال، والبلاغة والكمال، وذروة المقال، هو في القول المأثور:

" ما أجمل أخي أن يكون صديقي،

وما أجمل صديقي أن يكون أخي"

أوليس نحن إخوانك؟

في مسـند الإمام أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضـي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي»، قَالَ: فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانَكَ؟ قالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي»

بأبي أنت وأمي يا حبيبي يا رسول الله...

رسـول الله، خاتم النبيين، أمين الوحي، إمام المتقين، وسيد المرسلين، خير خلق الله، سيد ولد آدم،

أول من تنشـــق الأرض عنه يوم الحشـــر، وأول من يدخل الجنة، يجعلنا في مقام إخوانه؟!

بل نحن إخوانه حقاً بإذن الله، وهذا الحديث الشـــريف الذي هو كله جمال على جمال، والذي تجلى جماله وروعته في الحوار الرائع الذي دار بين الرسـول وصـحابته الكرام فقال: وددت لو أني رأيت إخواني!

إن كلمة "وددت" توحي لنا بعاطفة جياشـــة في شـخصـية رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم إنها كلمة حركت مشـاعرنا ووهجت أفئدتنا، فكان لها وقع رنـان، يوحي بـالحـب والحنـان، ثم يهجم الاسـتغراب والاندهاش على محيا صـحابته الكرام وكأني بهم يلتفت بعضـــهم إلى بعض، كل ينظر إلى الآخر وهم يتسـاءلون، والقلق يسـاورهم "أوليس نحن إخوانك؟" فتولد من هذا السـؤال تشـويق رهيب في نفوس سـامعي الحديث وقارئيه، فلقد علم الصـــحابة وأدركوا أن كل مكانة مهما بلغت من

القرب هي أدنى من مكانة الأخ، وبعد هذا السؤال بقينا ننتظر بشوقٍ بالغٍ ترى بماذا سيجيب رسول الله؟ فأجاب عليه الصلاة والسلام الإجابة الشافية فقال:

"أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني."

إن الأحرى بنا أن تذرف دموعنا نحن وتتفطر أكبادنا شوقًا إلى حبيبنا صلى الله عليه وسلم.

فزادنا تشريفا على تشريف، فبعد أن شرفنا وأكرمنا بالإسلام، شرفنا بأن نكون إخوانه والحمد لله رب العالمين.

وفي سنن أبي داوود {أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ جَالِسًا فَأَقْبَلَ أَبُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَوَضَعَ لَهُ بَعْضَ ثَوْبِهِ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ أُمُّهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَوَضَعَ لَهَا شِقَّ ثَوْبِهِ مِنْ جَانِبِهِ الْآخَرِ، فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ أَخُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَقَامَ لَهُ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ} .

بأبي أنت وأمي يا رسول الله الأحرى بنا نحن أن نضع لك ثيابنا لتجلس عليها، والأولى أن ننهض إليك لنجلسك بين أيدينا، وإنما فعلت ذلك لتعلمنا معنى العظمة الحقيقية التي تجلت في تقديسك لأبويك من الرضاعة ثم لأخيك الذي زدته إكرامًا حين قمت إليه فأجلسته بين يديك، أين الإخوة المتناحرون، المتعصبون، المتخاصمون، والمتقاطعون؟ أي قسوة طغت على قلوبهم؟ من لم يذق حلاوة حب الأخ فلم يذق للحب طعماً، وهو محروم بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، بل هو الحرمان بعينه.

"أَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقه"

حديث شريف

الموتـــور الثـــائر

قرأت في المغازي أن الصحابي محمود بن مسلمة رضي الله عنه استشهد في غزوة خيبر فكيف كانت ردة فعل أخيه محمد بن مسلمة رضي الله عنه؟ وكيف تفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك؟

أدرك رسول الله ما ألمّ بمحمد من ألم فقد أخيه فواساه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "غدا يقتل قاتل أخيك" وهكذا كانت مواساة وبشرى من رسول الله، فكان كذلك.

وفي مواجهة العدو خرج اليهودي مرحب عليه لعنة الله من حصن ناعم يطلب المبارزة، وهنا تفجر ألم سيدنا محمد بن مسلمة وتذكر أخاه المفقود الراحل: فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ:

- يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا وَاللهِ الْمَوْتُورُ الثَّائِرُ، قُتِلَ أَخِي بِالْأَمْسِ فَائْذَنْ لِي فِي قِتَالِ مَرْحَبٍ وَهُوَ قَاتِلُ أَخِي.

فَأَذِنَ لَهُ بأبي هو وأمي.

لم يكن رحيل محمود وقتله موقف عابر، سالت له الدموع، وتأججت له المشاعر وانتهى الأمر، إنه الأخ، إنه الجرح الذي لا يندمل، فتقدم محمد بن مسلمة وهو يرتجز ويقول:

يَا نَفْسُ إِلّا تُقْتَلِي تَمُوتِي

لَا صَبْرَ لِي بَعْدَ أَبِي النّبَيت

وَكَانَ أَخُوهُ مَحْمُودٌ يُكَنّى بِأَبِي النّبَيْتِ.

التقى الصحابي الجليل المكلوم الموجوع مع اليهودي مرحب في ساحة النزال، وكل يراقب،

فاقتتلا قتالاً شديداً انتهى بأن قطع محمد ساقي اليهودي مرحب فسقط أرضا.

لم تنته المعركة بعد، لقد هوى ذلك المتجبر فطلب من محمد طلب اليائس البائس أن يجهز عليه، فقال وبكل تجبر وجحود:

- أجهز يا محمد..

ولكن الحرقة التي تحرق قلب محمد لم تكن لتنطفئ على أخيه بذلك، رفض محمد الإجهاز على مرحب كي يذوق الموت ثلاثة أيام كما حل بأخيه محمود الذي صارع الموت ثلاثا فقال مُحَمَّدٌ:

- ذُقْ الْمَوْتَ كَمَا ذَاقَهُ أَخِي مَحْمُودٌ.

وَمَرّ بِهِ عَلِيّ بن أبي طالب فَضَرَبَ عُنُقَهُ، فَاخْتَصَمَا إلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ:

- يَا رَسُولَ اللهِ، وَاَللهِ مَا قَطَعْت رِجْلَيْهِ ثُمّ تَرَكْته إلّا لِيَذُوقَ مُرّ السّلَاحِ وَشِدّةِ الْمَوْتِ كَمَا ذَاقَ أَخِي، مَكَثَ

ثَلَاثًا يَمُوتُ، وَمَا مَنَعَنِي مِنْ الْإِجْهَازِ عَلَيْهِ شَيْءٌ، قَدْ كُنْت قَادِرًا بَعْدَ أَنْ قَطَعْت رِجْلَيْهِ أَنْ أَجْهَزَ عَلَيْهِ.

فَقَالَ عَلِيّ رضي الله عنه:

- صَدَقَ، ضَرَبْتُ عُنُقَهُ بَعْدَ أَنْ قَطَعَ رِجْلَيْهِ.

وقد ذكر في موقع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن محمود بن سلمة قُتل على حصن ناعم في خيبر، حيث دلى عليه مَرْحب رحىً، فأصابت رأسه فهشمت البيضة رأسه، وسقطت جلدة جبينه على وجهه، وأُتي به رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فرد الجلدة فرجعت كما كانت، وعصبها بثوب، فمكث محمود ثلاثة أيام، ثم مات.

....لله درك يا محمد أي حزن أصابك على أخيك الذي تخلد في هذه القصة إلى يوم الدين قتلت قاتل أخيك وارتجزت بأبيات رائعة فلا صبر لك بعد شقيقك ذاك ما لا يدركه ولا يفقهه إلا من فقد أخ..

أسلم قبلي واستشهد قبلي

جادت كتب التاريخ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحزنه الشديد على فقد أخيه زيد بن الخطاب الذي استشهد في معركة اليمامة، ففي شرح الزرقاني أن زيد بن الخطاب أسنَّ من عمر، وأسلم قبله، وشهد بدراً والمشاهد، واستشهد باليمامة، وراية المسلمين بيده، سنة اثنتي عشرة، وحزن عليه عمر حزناً شديداً، وقال:

- سبقني إلى الحسنيين أسلم قبلي واستشهد قبلي.

فتجلت هنا فاجعة حقيقية لسيدنا عمر الذي جعل من تلك الفاجعة سبباً هونت عليه مصائب الدهر!

ففي الكامل في اللغة والأدب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أصابته مصيبة قال:

- قد فقدت زيداً فصبرت!!!

أجل أراد عمر أن يقول أي مصيبة أعظم من فقدان أخي زيد؟ أفلا أصبر على ما هو أهون؟

وكل شيء أهون على الإنسان من فقد الأخ...

وكان رضي الله عنه يقول:

- إني لأهش للصبا؛ لأنها تأتينا من ناحية زيد.

(الصبا: هي الريح القادمة من نجد)

أهش للصبا: أي ينشرح صدري للصبا وأفرح بقدومها.

عمر الذي كان يشتمُّ عبق زيد بتلك الريح، فأحب تلك الريح واشتهى قدومها لأنها تحمل عبق أخيه زيد..

وقيل في التعازي والمراثي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين استشهد أخوه زيد بن الخطاب وحضره رجل من بني عدي بن كعب، (عاد إلى

المدينة من معركة اليمامة)، فلما رآه عمر دمعت عينه ثم قال:

- أخلّفت زيداً ثاوياً وأتيتني؟..

إنه العتاب الحزين والألم العميق، سؤال يعرف عمر أنه لن يجد له جواب، وكأنه يقول: كيف طاوعتك نفسك أن تأتيني وتترك زيداً ثاوياً خلفك؟

وفي الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والثلاثة الخلفاء، "أنه وبعد أن وضعت الحرب أوزارها واستتب الأمر للإسلام والمسلمين، ودحر مسيلمة وأتباعه قدم وفد بني حنيفة المدينة، فنادى أبو بكر أن لا يؤويهم أحد، ولا يبايعهم، ولا ينزلهم، ولا يكلمهم، فداروا في المدينة لا يُكلمون ولا يُبايعون، فضاقت عليهم، فقيل لهم: ائتوا عمر، فجاؤوه ومعه صبيَّة صغيرة،

فقالوا:

- إنا نعوذ بالله أن يرد علينا من إسلامنا ما يقبل من غيرنا، وإنا نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، والذي لا إله إلا هو، الذي يعلم من السر ما يعلم من العلانية. قال عمر:

- الله إن ما تقولون بألسنتكم لحق من قلوبكم؟ قالوا:

- الذي لا إله إلا هو إن ما نقول بألسنتنا لحق من قلوبنا. قال:

- الحمد لله الذي جعل لنا من الإسلام ما يعزنا ويردنا إليه. ثم قال:

- أفيكم قاتل زيد بن الخطاب؟ قالوا:

- ما تريد بذلك؟ قال:

- أفيكم قاتل زيد؟

فقام رجل يدعى أبو مريم، فقال:

- أنا قاتل زيد، قال:

- وكيف قتلته؟ قال:

- اضطربت أنا وهو بالسيفين حتى انقطعا، ثم أطّعنا بالرمحين حتى انكسرا، ثم اصطرعنا، فشحطته بالسكين شحطا.

- فقال عمر: يا بنية، هذا قاتل أبيك.

فوضعت يدها على رأسها، وصاحت: "يا أبتاه".

إنهم قوم مسيلمة الكذاب بعد أن انهزموا عاد وفد منهم تائبين، أراد أبو بكر أن يختبر إيمانهم فقرر مقاطعتهم، وعندما رأوا ذلك قيل لهم اذهبوا إلى عمر: فذهبوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعندما سمع منهم وأدرك رحمه الله أنهم صادقون في توبتهم سارع إلى سؤالهم عن قاتل أخيه زيداً!

جرح وأي جرح ذلك بمجرد أن يرتبط الأمر بمعركة اليمامة تتجدد الأحزان وتعود الذكريات إلى زيد.

أفيكم قاتل زيد؟ سؤال طرحه عليهم كالصاعقة ما كانوا يتوقعونه من صنديد كعمر، فأجابوا

سـؤالا بسـؤال، يتغابون وكأنهم لا يعلمون مكانة زيد من عمر.

- وما تريد بذلك؟

لم يكترث سـيدنا عمر عن مغزاهم فأعاد السـؤال بصرامة وبشدة وكأنه يحذرهم من أن يجادلوه.

- أفيكم قاتل زيد؟

فاسـتسـلم القوم، فقام أحدهم يدعى أبو مريم فقال:

- أنا قاتل زيد.

لم يغضب سيدنا عمر غضب الجاهلية، ولكنه سأله بمنتهى الهدوء والاتزان.

- وكيف قتلته؟

فـأخـذ الرجـل يقص على عمر مـا دار بينهم وعمر ينصـت، عمر المكلوم بأخيه لم تأخذه الحمية الجاهلية والعصـبية القبلية وانقض على قاتل أخيه، هنا تجلت قوة حقيقية جبارة في شـخصـية

عمر، فالشديد كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يملك نفسه عند الغضب،

ففي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ».

وهذا هو حال عمر.

أدرك عمر أنهم قد تابوا إلى الله وقد رجعوا عن بغيهم إن صدقوا أما إن لم يصدقوا فما كان عليه إلا أن يحكم بالظاهر، فلم يكن يملك من الأمر شيئاً إلا أن استسلم إلى الله ورسوله، ولم يتخذ عمر أي إجراءات تعسفية ضد قاتل أخيه، ولكنه اكتفى بأن التفت إلى الصبيّة فقال: يا بُنيّة هذا قاتل أبيك.

تلك الصبيّة يبدوا أنها من أولاد زيد، إنما أراد عمر أن يعبر عن مشاعره الحزينة الدفينة، فلم يجد إلا تلك الصبيّة ليفضفض لها ما ألمَّ به، فصاحت يا

أبتاه، وكأن صرختها تعكس صرخة شديدة تكاد تقتلع الجبال في جوف عمر وفؤاده.

وفي العقد الفريد أن عمر بن الخطاب كان يقول لأبي مريم الحنفي قاتل زيد بن الخطاب:

- والله لا يحبك قلبي أبدا حتى تحب الأرض الدم.

قال:

- يا أمير المؤمنين، فهل تمنعني لذلك حقا؟ قال عمر:

- لا. قال الرجل:

- فحسبي.

عمر بن الخطاب لم يسمح لمشاعره الخاصة أن تؤثر على عدله، ورفض أن تكون قراراته ناتجة عن مشاعر كره أو حب، أو أن تكون قراراته انتقاما لنفسه مستغلا بذلك سلطته، فهو وإن كان قاتل أخيه يبقى في عدل الإسلام، وفي رعيته، التي استأمنه الله تعالى إياها، ولم يكن عمر ليفرط بمسؤولياته تجاه رعيته، كما أخبر بذلك نبينا

محمد صلى الله عليه وسلم ففي مسند الإمام أحمد بن حنبل عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

{كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ} .

أما الرجل لم يكترث لمشاعر أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين، ولو كان ذا علم وبصيرة لطلب الصفح من عمر طمعاً أن يتقرب منه ولو كان الثمن هو كل حقوقه.

ولقد تحدثت بعض الكتب عن أن قدومه إلى المدينة ما كان إلا تجنبا للقتل والله أعلم.

وتجلت قوة عمر مرة أخرى حين كان يرى قاتل أخيه يتجول في أسواق المدينة وأزقتها ولا يملك أن يأخذ بثأر أخيه التزاماً بتعاليم الإسلام الحنيف.

ومما يروى عن هذين الأخوين الرائعين في عيون الأثر:

"أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ لأَخِيهِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ يَوْمَ أُحُدٍ: خُذْ درعي هذا يَا أَخِي، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أُرِيدُ مِنَ الشَّهَادَةِ مِثْلَ مَا تُرِيدُ، فَتَرَكَاهَا جَمِيعًا".

إنه الإيثار والتضحية والحب والود وكل المعاني الجميلة نجدها في هذا الموقف المؤثر.

والله ما دعوته ولا غدرت به

كان متمم بن نويرة صحابياً من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وله أخ يدعى مالك.

قُتل أخوه مالكاً في حرب الردة على يد ضرار بن الأزور بأمر من خالد بن الوليد، وفي ذلك قصة عجيبة ذكرت في تاريخ الطبري أن مالكاً وقع أسيراً في أيدي خالد وجيشه فأمر خالد مناديا فنادى: أدفئوا أسراكم، وكانت في لغة كنانة إذا قالوا: دثروا الرجل فأدفئوه، وفي لغة غيرهم: أدفئه فاقتله، فظن القوم - وهي في لغتهم القتل - أنه أراد

القتل، فقتلوهم، فقتل ضرار بن الأزور مالكًا، وسمع خالد الواعية، فخرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمرا أصابه.

وكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى خالد أن يقدم عليه ففعل، فأخبره خبره، فعذره وقبل منه.

وقدم أخوه متمم بن نويرة ينشد أبا بكر دمه، ويطلب إليه في سبيهم، فكتب له برد السبي.

وفي التعازي والمراثي أن أبا بكر صلى ذات يوم صلاة الصبح، فلما فرغ، قام متمم بن نويرة في آخر الناس، وكان رجلاً أعوراً، فاتكأ على قوسه ثم قال:

نعم القتيل إذا الرّياح تناوحت

خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور

أدعوته بالله ثمّ غدرته

لو هو دعاك بذمّةٍ لم يغدر

يتهم أبا بكر الصـــديق أنه غدر بمالك ويعاتبه عتاب من يعتصر فؤاده ألماً، مكلوم مغلوب على أمره، فقال أبو بكر رضي الله عنه:

- والله ما دعوته ولا غدرت به.

ثم اتكأ متمم على قوســه حتى دمعت عينه العوراء، ثم أتم شعره فقال:

لا يمســـــك العوراء تحت ثيابه

حلوٌ شمـــائلـــه عفيف المئزر

ولنعم حشو الدّرع كنت وحاسرا

ولنعم مـــأوى الطـــّارق المتنوِّر

فقام إليه عمر فقال له:

- لوددت أنك رثيت أخي بما رثيت به أخاك.

فقال له:

- يا أبا حفص لو أعلم أن أخي صـــار حيث صـــار أخوك ما رثيته.

يقول: (إن أخاك قتل شهيداً)

فقال عمر:

- ما عزاني أحد بمثل تعزيتك.

وقيل في التعازي إنّ متمماً رثى زيد بن الخطاب فلم يجد.

فقال له عمر:

- لم أرك رثيت زيداً كما رثيت أخاك مالكاً. فقال:

-إنه والله يحركني لمالك ما لا يحركني لزيد.

إنها المشاعر الخاصة التي تتحرك تجاه الأخ دون إخوان الآخرين، فلقد صدق متمم وأجاد وأوجز وأبلغ.

وفي حماسة الخالدين "أن عمر بن الخطاب سأل متمّم بن نُويرة عن شدَّة حزنه على أخيه مالك فذكر أشياء ثمَّ قال:

- بكيته يا أمير المؤمنين حتَّى أسعدتْ عيني العوراء الصحيحة

(أي أن عينه العوراء نائحة ثكلى أعانت عينه الصحيحة على البكاء).

وفي مثل هذا يقول الشاعر:

عذرتُكِ يا عَيني الصَّحيحةُ في البُكا

فما لكِ يا عوراءُ في الهَمَلانِ

إنَّما خاطب الشاعر عينه العوراء فقال لها: أيش لك في البكاء وما رأيتِ شيئاً. ويعذر عينه الصحيحة لأنَّها نظرت، وما الأمر عندنا إلاَّ أنَّه استعظم بكاء عينه العوراء وعجب من ذلك إذ ليس من شأنها البكاء ولا من عادتها الدموع"

وقال متمم في التعازي والمراثي يحكي إحدى المواقف الأخوية:

"ولقد أسرت مرة في بعض أحياء العرب فمكثت فيهم سنة أحدثهم وأغنيهم، فما أطلقوني. فلما كان بعد، وقف عليهم مالك في شهر من الأشهر الحرم، فحادثهم ساعة ثم استوهبني منهم وهم لا يعرفونه فوهبوني له، فعلمت أن ساعة من مالك أكثر من حول مني".

لا زالت تلك الذكرى في نفس متمم تزيده حســـــــرة ووجعًا على فراق أخيه قرة عينه وفلذة كبده.

وفي التعازي أيضاً "ومما يستحسن من قول متمم بن نويرة الدال على تمكن الحزن من قلبه، وعدم نسيانه أخاه، أنه كان لا يمر بقبر، ولا يذكر الموت بحضرته إلا قال: يا مالك.

ثم فاضت عبرته، ففي ذلك يقول:

وقـــالوا أتبكي كـــلّ قبرٍ رأيتـــه

لقبرٍ ثوى بين اللّوى والـدّكـادك

فقلت لهم إنّ الأســـــــى يبعث البكا

دعوني فهـذا كلّـه قبر مـالـك

وفي ديوان المعاني "عن الأصمعي قال:

- كان متمم بن نويرة قدم العراق فأقبل لا يرى قبراً إلا بكى عنده فقيل له:

- يموت أخوك بالملا وتبكي على قبره بالعراق!

فقال:

لقـد لامني عنـدَ القبورِ على البكـا

رفيقي لتذرافِ الدموع السـوافك

أمنْ أجـلِ قبرٍ بـالملا أنـت نـائحٌ

على كـلَ قبر أو على كـلَ هـالـكِ

فقلت له أنَ الشـجا يبعثُ الشـجا

فـدعني فهـذا كلـهُ قبرُ مـالـك

يقول قد ملأ الأرض مصـابه عظماً فكأنه مدفون بكل مكان. "وهذا أبلغ ما قيل في تعظيم الميت"..

انتظـــــــر!!

لم يكن الميت الذي قيل فيه أبلغ ما قيل في
تعظيمه هو زوجٌ أو ولدٌ أو أبٌ!!
إنما هو أخ!!

قصة جذيمة

وفي خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب قيل إن أحد ملوك الحيرة ويدعى جذيمة كان لا ينادم أحدًا، زهوًا وكبرًا.

فخرج يوماً إلى الصيد مع ابن أخت له يدعى عمرو بن عدي، ففقده لمسٍ أصابه ولم يعثر عليه زمن حتى يأسوا منه، وقيل إن رجلين أحدهم يدعى مالكاً والآخر عقيلاً عثرا على عمرو، فقدما إلى جذيمة بابن أخته بعد أن يأسوا من قدومه فلما قدموا به، سُرّ به سروراً شديداً وصرفه إلى أمه وقال للرجلين:

- تمنيا علي!

فقالا:

- منادمتك، ما بقيت وما بقينا.

فنادمهما.

ويقال إنهما أقاما في منادمته أربعين سنة يحدثانه، فما أعادا عليه حديثا.

وبذلك يكون مالك وعقيل نديمي جذيمة المشهوران المضروب بهما المثل في شدة الألفة والمصاحبة.

فقال متمم بن نويرة في ديوان المعاني:

وكنا كندماني جذيمة حقبة

من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا

لطول اجتماع لم نبت ليلةً معًا!

فقيل إن هذا البيت أحسن ما قيل في المراثي عمومًا...

مهـــلاً!

إن أحسن بيت شعري في المراثي عموما قد قيل في رثاء الأخ!!!

وفي قول متمم في كتاب خصـــــــــائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني:

إذا رقـــأت عينـــاي ذكرني بـــه

حمام تنادى في الغصـــــــون وقوع

دعون هـديلاً فـاحتزنـت لمـالـك

وفي الصـــدر من وجد عليه صـــدوع

كأن لم أجالســـــه ولم أمس ليلة

أراه ولم يصـــــــبح ونحن جميع

أي إذا جفَّت عيني من البكا تـذكره الحمـام حين ينادي بعضـه بعضـاً وهن واقعات على الأرض والشـجر، واسـتخدم الشـاعر هديل الحمام كرمز عن أسـطورة فرخ الحمام الذي مات في عهد سـيدنا نوح عليه السـلام فبقيت الحمائم تناديه حتى اليوم!

"وبذا كان هديل الحمام يذكر في ســـــياق إهاجة الأحزان"

وجرى على لســـان العرب كما في الكامل في اللغة والأدب:

"فتىً ولا كمالك"

"يضــرب هذا المثل في الشـــيء الذي فيه فضــل وغيره أفضــل منه" ومالك الذي ذكروا هو مالك بن نويرة، أخو متمم بن نويرة.

وفي كتب التاريخ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد غضب لمقتل مالك ووصفه بالمسلم كما فعل ذلك عدد من الصـــحابة رضـــوان الله عليهم.

من رثاء متمم لأخيه مالك

من أشعار العرب المشهورة المتخيرة في المراثي قصيدة متمم بن نويرة في أخيه مالك كما في المفضليات:

سـقى الله أرضـاً حلها قبر مالك
ذهـاب الغوادي المـدجنـات فـأمرعـا
وآثر سـيـل الواديين بـديمـة
ترشـح وسمياً من النبت خروعا
ولسـت إذا ما الدهر أحدث نكبة
ورزءاً بزوار القرائب أخضـعا

فلا فرحـاً إن كنـت يومـاً بغبطـة

ولا جزعاً إن ناب دهر فاضـــــــلعا

تقول ابنـة العمري مـالـك بعـدمـا

أراك قـديمـا نـاعم البـال أفرعـا

فقلت لها طول الأســـى إذ ســـألتني

ولوعة حزن تترك الوجه أســـــفعا

وفقـــد بني أمّ تـــداعوا فلم أكن

خلافهم أن أســـــتكين وأضـــــرعا

فلو أن ما ألقى أصـــــــــاب متالعاً

أو الركن من سلمى إذاً لتضعضعا

لقـد كفّن المنهـال تحـت ردائـه

فتى غير مبطان العشـــــيّات أروعا

ولا برما تهدي النســـــاء لعرســـــه

إذا القشـــع من برد الشـــتاء تقعقعا

لبيباً أعان اللب منه سماحة

خصيباً إذا ما زائد الجدب أوضعا

تراه كصدر السيف يهتز للندى

إذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

لقتلت نفسي!

إنها الخنساء يا قوم!

لا يخفى على أحد قصة الخنساء وصدق محبتها لأخويها، حيث تجلت تلك المحبة في كلماتها المنبثقة كالسهام، فلم تكن الأبيات التي قالتها الخنساء مجرد كلمات موزونة وقافية مصقولة، بل كانت روحا تلامس أرواح كل من قرأ أبياتها ولو لم يفقد أخ، فما ظننا بمن نُكب وفقد أخا؟ أليس الأحرى به أن تلامس تلك الروح روحه وفؤاده بل وتعانقها فلا تكاد تنفك عنها أبدا؟

ولم يكن ذاك الحب معلنًا بســـــــبب فقدها أخويها، بل كان يبدو واضـــــــحًا عليها في تلك الروايات التي صحبت فيها أخويها في الحياة.

ولعل أبرز مظاهر الحب والحزن هو انفجار قريحتها الشعرية إبان موت صخر!

فبموت صخر صرخت خنساؤنا أبيات في رثاه جعلها أفضـــل من قال الشـــعر في العرب قديماً وحديثاً كما تحدثت بذلك الكتب.

ففي كتاب التعازي "أنها كانت تقول الأبيات اليسيرة، فلما أصيبت بأخيها صخر جدت وأجادت، وجمعت نفسها وشهرت"

إنها نقطة الانعطاف المؤلمة في حياة المرء فإما أن تصنع منه هُماما وإما أن تصنع منه حيرانا!!

إن الألم في الغالب هو الذي يسبب نقطة انعطاف في حياة المرء، فدخلت الخنساء التاريخ، وقبل ذلك لم يكن لها أي أثر أو ذكر يذكر!

تماماً كما بزغ عدد من المشاهير السياسيين والمثقفين في العالم بسبب مواقف مؤلمة، أو شديدة الألم...

غاندي السياسي المشهور بزغ وبرز بنقطة تحول مؤلمة كما تحدث موقع المصدر فلقد تسببت تجربة قاسية تعرض لها ذلك الشاب الذي لا يتمتع بالجرأة والشجاعة، والذي لم يكن باستطاعته أن يتخيل نفسه يخطب في الجماهير من فوق منبر عام، تسببت في تغيير كبير في شخصيته، كان من شأنه إحداث فرق عظيم في حياة أمة بأسرها، بل في العالم".

وغيره من عدد لا متناهٍ من مشـــاهير العالم الذين انطلقوا بفعل نقطة الانعطاف السحرية!

لماذا صخر؟؟

أراد أخوها معاوية أن يكرهها على الزواج بصديقه دريد بن الصمة، فلجأت إلى أخيها صخر الذي كان لها معينا ونصيرا كما تحدثت بذلك الكتب، فكان ذلك بمثابة دافع قوي جعل الخنساء تكن له الود والحب لصخر الذي ناصرها وآزرها.

وفي كتاب التعازي والمراثي "أن الخنســـاء دخلت على عائشـــة أم المؤمنين وعليها صـــدار من شعر، فقالت لها:

- يا خنساء، أتتخذين الصدار وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه؟ فقالت:

- "يـا أم المؤمنين، إن زوجي كـان رجلاً متلافـاً فأملقنا فقال: لو أتيت معاوية فاستعنته؟! فلقيني

صخر أخي فقال: أين تريدين فأخبرته، فشاطرني ماله فأتلفه زوجي، ففعل ذلك ثلاث مرات، فقالت امرأته: لو أعطيتها من شـــــــرارها، تعنى الإبل، فسمعته يقول:

والله لا أمنحها شرارها

ولو هلكت عطّلت خمارها

واتّخذت مــن شعرٍ صدارها

فلما هلك اتخذت هذا الصـــــدار، ونذرت لا أضعه حتى أموت."

لقد كان زوجها مســـــرفا مبذرا حتى حلت بهم الفاقة فطلب إليها أن تســتعين بأخيها معاوية كي يقرضـــــــهم مالاً أو يجود عليهم بما عنده، فلقيها فسألها: أين تريدين؟

إنه ســـؤال المهتم المحب، لا ســـؤال من يتتبع عورات الآخرين، ويقتفي الزلات والعثرات!!

وحين أخبرته الخبر قام من فوره وشـــاطرها نصف ماله!!

أي جود وأي كرم هـذا؟؟ ثم أنفق زوجهـا ذلك المال إسرافاً ولهواً، ففعل صخر مثلما فعل في الأولى، وشاطرها نصف ماله، ثم قام زوجها بإتلاف المال أيضا، ثم فعل صخر كما فعل سابقتيها، أي حِلم هذا يا صخر بن عمرو؟؟

لقد جمع صـــــخر في هذا الموقف بين الكرم والجود والسخاء والحلم والشجاعة، فغضبت امرأة صخر، فقالت لصخر: لو أعطيتها شرارها. فرفض صخر وقال أبياته المشهورة:

والله لا أمنحها شرارها

ولو هلكت عطّلت خمارها

واتّخذت مـــن شعرٍ صدارها

وعندما هلك صخر اتخذت ذلك الصدار ـــ وهو قميص يلبس فوق الثياب ولا يكون إلا من شعر الأنعام ـ حدادا على أخيها صخر.

فلم نعلم يوماً أن أحداً فعل مع أخته مثل ما فعل صـــخر! أن يجود بنصـــف ماله، إنها لتعز على النفس البشـــــــرية مهما بلغت من الجود والكرم، ولكنها لم تكن كذلك بالنسبة لصخر، فلم نسمع في كتب التاريخ عن أمرٍ مماثل إلا ما كان من الصـــحابة رضـــوان الله عليهم حين جادوا بأموالهم وأنفســـــهم في ســـــبيل الدعوة، كما فعل أبو بكر الصـــــــديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وغيرهم رضـــــي الله عنهم أجمعين.

ولقد أثبتت أم المؤمنين عائشـــة رضـــي الله عنها، أنها تبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجزاها الله عنا كل خير.

ولا نستطيع أن نحكم على الخنساء أنها آثمة أو أنها متعدية حدود الله ورســوله وهي التي قدمت في القادســـية أربعة من أبنائها، فلقد ورثت الجود والكرم عن أخيها صـــخر، ولكن جودها وكرمها كان أعظم!

ولم تكن لتفعل كذلك إلا وهي ذات إيمان قوي راســـخ كالجبال كما يتبين لنا ذلك في مواقف عديدة.

ويروى في التعازي والمراثي أيضاً أن الخنساء أنشدت عائشة رضي الله عنها بعض أشعارها في صخر، فقالت:

ألا يا صـــــــــــخر إن أبكيت عيني

لقد أضـــــــــــحكتني دهراً طويلا

بكيتـك في نســـــــــــاءٍ معولاتٍ

وكنـــت أحقّ من أبـــدى العويلا

دفعـــت بـــك الخطوب وأنـــت حيٌّ

فمن ذا يـــدفع الخطـــب الجليلا؟

إذا قبح البكـــــاء على قتيـــــلٍ

رأيت بكاءك الحســـــــــن الجميلا

فقالت لها عائشة:

- أتبكين صخراً وإنما هو جمرة في النار؟

قالت:

- يا أم المؤمنين، ذلك والله أشد لجزعي عليه.

هنا ظهر الحب الحقيقي والوفاء والإخلاص لأخيها صـــخر فلقد علمت أن أخاها قد مات على ملة غير ملة الإســلام، وأنه في النار فاشــتد بكاؤها عليه!!!

وهذه من بوادر الإيمان الحقيقي في شخصية الخنساء.

دعوها فإنها لا تزال حزينة أبداً

في المحاســـن والأضـــداد للجاحظ ذكر أن الخنســـاء أقبلت في حاجة، فمرت بالمدينة ومعها أناس من قومها، فأتوا عمر بن الخطاب، فقالوا:

- هذه خنســـاء، فلو وعظتها فقد طال بكاؤها في الجاهلية والإسلام. فقام عمر وأتاها وقال:

- يا خنساء. فرفعت رأسها، فقالت:

- ما تشاء وما الذي تريد؟

فقال:

- ما الذي أقرح مآقي عينيك؟

قالت:

- البكاء على سادات مضر:

قال:

- إنهم هلكوا في الجاهلية، وهم أعضـــــــاد اللهب، وحشو جهنم.

قالت:

- فداك أبي وأمي، فذلك الذي زادني وجعاً.

قال:

- فأنشديني ما قلت.

قالت:

- أما أني لا أنشـــــــدك ما قلت قبل اليوم، ولكني أنشدك ما قلته الساعة، فقالت:

ســـــــقى جدثاً أكناف غمرة دونه

من الغيــث ديمــات الربيع ووابلــه

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى

فأنت على من مات قبلك شاغله

أعيرهم سمعي إذا ذكروا الأسى

وفي القلب منه زفرة ما تزايله

فقال عمر:

دعوها فإنها لا تزال حزينة أبدًا.

كما عهدنا سيدنا عمر رضي الله عنه الناصح الواعظ الذي قدم النصيحة بدون فظاظة أو غلاظة، واستمع إليها برحب وسعة، ودار بينهما ذلك الحوار الرائع وهو يستمع منصتاً مصغياً، وبعد أن استمع إليها وإلى أشعارها فثارت أحزان سيدنا عمر فقال كلمته الشهيرة:

"دعوها فإنها لا تزال حزينة أبدا"

أمر عمرٌ القوم أن يدعوها وشـــــأنها، أي أن يكفوا إلقاء اللائمات على ما تصنع، إنّ موقف عمر أمر أثار أســـئلة العديد من المهتمين، ولقد اطلعت على عـدد من التحليلات لموقف عمر وعـدد من القراءات النفسـية والتي حقيقة لم تشـف صـدري ولم تشبع فضولي، فليس عمر بالإنسان الذي يقر على الخنســـاء حدادها لمجرد أنها أنشـــدته بعض الأشـــعار! ولا هو بالمتســـامح في أوامر الله تعالى ونواهيه!

ولكني أرى أنها البداهة والفراســـة وحســـن الرأي، فلم يكن يجدي الخوض مع الخنساء في أمر حـدادهـا أخويهـا في تلـك اللحظـة، ولقـد أدرك سـيدنا عمر رجاحة عقلها، وقوة إيمانها، حين أقرت أن أخويها في النار فازدادت حزناً، وازداد هو يقيناً

أنها مؤمنة ولابد أن تعود إلى رشـــــدها فكان كما ظن.

ولعل أبرز ما قالت:

ولولا كثرة البـــــاكين حولي

على إخوانهم لقتلت نفســـــــــــي

ومـــــا يبكون مثـــل أخي ولكن

أعزي النفس عنه بالتأســـــــــــي

يذكرني طلوع الشـــمس صـــخراً

وأذكره لكـــــل غروب شمس

شعر الخنساء في رثاء أخويها كما في ديوانها:

أعينيّ جودا ولا تجمـــــدا ألا تبكيان لصـــــخر النّدى؟

ألا تبكيـان الجريء الجميـل ألا تبكيان الفتى الســـــيّدا؟

طويـل النجـاد رفيع العمـا د ســـــاد عشـــــيرته أمردا

إذا القوم مـدّوا بـأيـديهم إلى المجـد مـدّ إليـه يـدا

فنـال الـّذي فوق أيـديهم من المجد ثمّ مضـى مصـعدا

يكلّفـــه القوم مـــا عـــالهم وإن كان أصـــــغرهم مولدا

ترى المجـد يهوي إلى بيتـه يرى أفضل الكسب أن يحمدا

وإن ذكر المجـــد ألفيتـــه تـــأزر بـــالمجـد ثم ارتـدى

ومما يستحسن من شعرها قولها في قصيدة أولها:

بكـــت عيني وعـــاودهـــا قـــذاهـــا
بعوّارٍ فما تقضـــــــــي كراها
على صـــــخرٍ وأيّ فتىً كصـــــخرٍ
إذا مـــا النـــّاب لم ترأم طلاهـــا
حلفتُ بربّ صـــــــــُهبٍ معملاتٍ
إلى البيـــت المحرّم منتهـــاهـــا
لئن جزعـــت بنو عمروٍ عليـــه
لقـــد رُزئـــت بنو عمروٍ فتـــاهـــا
فتى الفتيـــان مـــا بلغوا مـــداه
ولا يَكـــدى إذا بلغـــت كـــداهـــا
لـه كفٌّ يشـــــــــد بها وكفٌّ
تحلـــّب مـــا يجفّ ثرى نـــداهـــا
فمن للضـــــــــّيف إن هبّت شمالٌ
مزعزعةٌ تجاوبها صـــــــــباها

وألجا بردها الأشـــــــــوال حُدباً

إلى الحجرات بـــاديـــةً كلاهـــا

هنالك لو نزلت بآل صـــــــــخرٍ

قرى الأضـــياف شـــحماً من ذراها

أمطعمكم وحـــــاملكم تركتم

لـــدى غبراء منهـــدمٍ رجـــاهـــا

ترى الشـــّم الجحاجح من ســـليمٍ

يبـــلّ نـــدى مـــدامعهـــا لحـــاهـــا

وقالت:

ألا يـــا عين فـــانهمري بغـــدر
وفيضـــــي فيضـــــةً من غير نزر
ولا تعدي عزاءً بعد صـــــــــخر
فقد غلب العزاء وعيل صـــــبري
لمرزئـــةٍ كـــأنّ الجوف منهـــا
بعيد النّوم يشـــــــــعر حرّ جمر
على صـــــخرٍ وأيّ فتىً كصـــــخر
لعـــانٍ عـــائـــلٍ غلقٍ بوتر
وللأضـــــــــياف إن طرقوا هدوّاً
وللمكلّ المكل وكلّ ســـــــــفر
إذا نزلت بهم ســـــــــنةٌ جمادٌ
أبيّ الـدّرّ لم تكســـــــــع بغبر
وأحيـــا من مخبـــّأةٍ كعـــابٍ
وأشـــــجع من أبي شـــــبلٍ هزبر

لو أن الـــدهر متخـــذا خليلا

لكان خليله صـــــــــخر بن عمرو

تـــدين الخـــادرات لـــه إذا مـــا

سمعن زئيره في كـــــلّ فجر

قواعـــد مـــا يلم بهـــا عريـــبٌ

لعســـــرٍ في الزمان ولا ليســـــر

إذا ما الضـــــــيق حلّ إلى ذراه

تلقـّاهم بوجـهٍ غير بســـــــــر

تفرّج بـــالنـــّدى الأبواب عنـــه

ولا يكتنّ دونهم بســـــــــتر

دهتني الحادثات به فأضـــــــحت

عليّ همومه تغدو وتســـــــــري

وقالت أيضاً:

يا عين مالك لا تبكين تســـــــكابا

إذ راب دهرٌ وكـان الـدّهر ريـّابـا

فـــابكي أخـــاك لأيتـــامٍ وأرملـــةٍ

وابكي أخـاك إذا جـاورت أجنـابـا

وابكي أخاك لخيلٍ كالقطا عصـــباً

فقدن لمّا ثوى ســـــــــيباً وأنهابا

يعدو به ســـــــــابحٌ نهدٌ مراكله

مجلببٌ بســـــــــواد اللّيل جلبابا

حتّى يصـــــــــبّح أقواماً يحاربهم

أو يســلبوا دون صـفّ القوم أســلابا

هو الفتى الكـامـل الحـامي حقيقتـه

مأوى الضـــريك إذا ما جاء منتابا

يهدي الرّعيل إذا جار الســـّبيل بهم

نهد التّليل لصـــــعب الأمر ركّابا

المجـــد حلّتـــه والجود علّتـــه

والصـــــــّدق حوزته إن قرنه هابا

وقالت أيضاً:

أعين ألا فابكي لصـــــــــخر بدرّة

إذا الخيل من طول الوجيف اقشعرّتِ

إذا زجروها في الصـــــّريخ وطابقت

طبـــاق كلاب في الهراش وهرّتِ

وخيـــلٍ تنـــادى لا هوادة بينهـــا

مررت بها دون الســـــــــّوام ومرّتِ

كأنّ مدلاًّ من أســـــــــود تبالةٍ

يكون لها حيث اســـــتدارت وكرّتِ

شـــددت عصـــاب الحرب إذ هي مانعٌ

فـــألقـــت برجليهـــا مريـــاً ودرّتِ

وكان أبو حســّان صـــخرٌ أصـــابها

فـــأرغثهـــا بـــالرّمح حتّى أقرّتِ

وكـانـت إذا مـا رامهـا قبـل حـالـبٌ

تقتـــه بـــإيزاغٍ دمـــاً واقمطرّتِ

وقالت الخنساء ترثي صخرا ومعاوية:

بكت عيني وعاودت الســـــــــــّهودا

وبــتّ اللَّيــل جــانحــةً عميــدا

لـذكرى معشـــــــــــرٍ ولّوا وخلّوا

علينـــــا من خلافتهم فقودا

فكم من فــارسٍ لــك أمّ عمروٍ

يحوط ســـــــنانه الأنس الحريدا

كصـــــــــخرٍ أو معاوية بن عمروٍ

إذا كانت وجوه القوم ســـــــــودا

يردّ الخيــل داميــةً كلاهــا

جديرٌ يوم هيجا أن يصـــــــــيدا

يكبّون العشـــــــــار لمن أتــاهم

إذا لم تحســـــــــبِ المئةُ الوليدا

وقالت الخنســـاء ترثي أخاها معاويـــــة بن عمرو كما في "الكامل في اللغة والادب "

هريقي من دموعـــك أو أفيقي
وصـــــــبراً إن أطقت، ولن تطيقي

وقولي إن خير بني ســـــــليم
وفارســـــهم بصـــــحراء العقيق

ألا هـــل ترجعن لنـــا الليـــالي
وأيـام لنـا بلوى الشـــــــــقيق

وإذ فينـــا فوارس كـــل هيجـــا
إذا فزعوا وفتيـــــان الخروق

وإذ فينـــا معـــاويـــة بن عمرو
على أدمـــاء كـــالجمـــل الفنيق

فبكّيـــه فقـــد ولّى حميـــداً
أصـــيل الرأي محمود الصـــديق

كأنّ الليل ليس له نهارُ

هل تعرف ما ســـــبب أطول حروب العرب في الجاهلية والتي اســتمرت أربعين ســنة؟ إنها الحرب التي دارت بين قبيلتي بكر وتغلب وتســـــمى حرب البسوس. والسبب ما هو إلا أن أخا فقد أخاه!!

قُتل كليب وائل زعيم قبيلة تغلب على يد جســاس من قبيلة بكر، فماذا كانت ردة فعل أخيه المهلهل؟؟ قُتل كليب مغدوراً، فأضـــــــرم المكلوم الموجوع المهلهل الحرب، وأشـعلها أربعين ســنة، وقال

في أخيه ما قال من المراثي، وتعددت المواقف والقصص والروايات في ذلك.

ففي التعازي "كان عدي المهلهل آخى (أي جعله صديقا مقربا) همام بن مرة (شقيق جساس) وكان عاقده وعاهده ألا يكتم أحدهما صاحبه خبراً يقع إليه. فجاءت جارية لهمام فسارته بشيء، فتغير وجهه.

فقال المهلهل:

- ما قالت لك يا أخي؟

فوُري (أي أخفى عنه)

فقال له:

- العهد! فقال:

- خبرتني أن أخي قتل أخاك.

(استسلم همام للمهلهل عندما ذكره بالعهد وذاك من عادة العرب الوفاء بالعهد)

فقال له المهلهل:

- لا ترع، فإن همة أخيك لا تبلغ ذاك.

وفي الكامل إن المهلهل قال له بعد ذلك:

" اشرب فاليوم خمر وغدا أمر"

ولما أفاق من سكره كما في الكامل في التاريخ " فإنه لما صحا لم يرعه إلا النساء يصرخن: ألا إن كليبا قتل " ثم انطلق إلى المكان الذي قتل فيه كليب فرأى دمه، ثم جز شعره، وقصر ثوبه، وهجر النساء، وترك الغزل، وحرم القمار والشراب" معلنا الحرب ثأرا لأخيه كليب.

إن في قول المهلهل: لا ترع فإنّ همة أخوك لا تبلغ ذاك. - إنها أول مراحل الحزن " نكران الحقيقة " فواصل المهلهل شرابه ولم يؤمن بما حدث حتى أفاق من سكره صباحا على نياح النائحات.

وفي الكامل في التاريخ "وجمع إليه قومه وأرسل رجالا منهم إلى بني شيبان، فأتوا مرة بن ذهل بن شيبان وهو في نادي قومه

فقالوا له:

- إنكم أتيتم عظيما بقتلكم كليبا بناقة وقطعتم الرحم، وانتهكتم الحرمة، وإنا نعرض عليك خلالا أربعا، لكم فيها مخرج، ولنا فيها مقنع: إما أن تحيي لنا كليبا، أو تدفع إلينا قاتله جساسا فنقتله به، أو هماما فإنه كفؤ له، أو تمكننا من نفسك، فإن فيك وفاءً لدمه..

فقال لهم:

- أما إحيائي كليبا فلست قادرا عليه، وأما دفعي جساسا إليكم فإنه غلام طعن طعنة على عجل، وركب فرسه، فلا أدري أي بلاد قصد، وأما همام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان

قومهم فلن يســـلموه بجريرة غيره، وأما أنا فما هو إلا أن تجول الخيل جولة فأكون أول قتيل فما أتعجل الموت، ولكن لكم عندي خصـــــــلتان: أما إحداهما فهؤلاء أبنائي الباقون فخذوا أيهم شئتم فاقتلوه بصـــاحبكم وأما الأخرى فإني أدفع إليكم ألف ناقة ســـود الحدق حمر الوبر. فغضـــب القوم وقالوا:

- قد أســـأت ببذل هؤلاء وتســـومنا اللبن من دم كليب؟

فكان لابد من نشوب الحرب

إن أول مطلب من مطالب المهلهل وقومه لئلا تقوم الحرب هو أن قالوا: تحيي لنا كليباً!

هو طلب حقيقة يوحي بالحماقة، تعجيزا لهم، ولربما أراد المهلهل ذلك فعلا، تحول بينه وبين

ما أراد الحقيقة المرة التي تقضـــي أن الميت لا يعود أبدا!

أما الخيار الآخر فهو أن تدفعوا لنا جســـاس فنقتله. وكان هذا الأمر أكثر منطقية وعقلانية وهو ما يعرف بشريعة الإسلام بالقصاص لو كانوا يفقهون.

أمـا الخيـار الآخر هو أن تـدفعوا لنـا بهمـام شقيق جساس فهو كفؤ لكليب على حد زعمهم.

الخيار الرابع والأخير هو أن يســـلم مرة بن هذيان الشـــيباني نفســـه فيقتل بدم كليب (والد جســـاس) فرفض مرة زعيم شـــيبان من بكر هذه العروض جميعها وعرض هو بدوره عرضـــه فرأى أن يختاروا من بنيه ما يشاءون عدا "جساس وهمام" أو ألف ناقة سـوداء المقل فغضبوا ورفضوا وقالوا: لقد

أسـأت، تبذل لنا صغار ولدك وتسومنا اللبن من دم كليب. فنشبت الحرب.

وفي التعازي والمراثي "ولقد كان كليبا يعير مهلهلاً فيقول: أنت زير نساء."

ثم لما كانت الحرب في ثأر أخيه كليب وكان المهلهل قد أوقع بهم بالذنائب (إحدى أيام الحرب وقتل فيها من بكر الكثير) وقعة منكرة فيقول: لو رأى كليب ما صنعت لعلم أني غير زير.

فقال المهلهل:

أليلتنا بذي حسمٍ أنيري	إذا أنت انقضيت فلا تحوري
فإن يك بالذّنائب طال ليلي	فقد أبكى من اللّيل القصير
فلو نبش المقابر عن كليبٍ	فيخبر بالذّنائب أيّ زير

والزير في معجم الوسيط: الذي يكثر زيارة النساء ويحب مجالستهن ومحادثتهن، ففي مواقف المهلهل البطولية وملاحمه ود المهلهل لو أن

يخبر كليباً بما صـــنع؟ وكيف جادت كفه بدم قاتليه؟ بل غدا ذلك من كليب ذكرى جميلة يسترجعها المهلهل فتسره بعد أن تمكن الحزن إلى قلبه.

وفي العقد الفريد "وقال المهلهل بن ربيعة: يرثي أخاه كليب؛ وكان كليب إذا جلس لم يرفع أحد بحضرته صوته:

ذهب الخيار من المعاشر كلهم
واستبّ بعدك يا كليب المجلس
وتناولوا من كل أمر عظيمة
لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا

وهكذا غدا المهلهل يسطر أبياتا شعرية، ومواقف حسية، تخليدا لكليب، وكأنه لازال يرفض حقيقة موته!

وفي العقد الفريد أيضـــــا "وقال المهلهل لما أسرف في الدماء:

أكثرت قتـــل بني بكر بربّهم
حتى بكيـت ومـا يبكي لهم أحـد
آليت بالله لا أرضـــــــى بقتلهم
حتى أبهرج بكراً أينمـا وجـدوا

أبهرج: أدعهم بهرجا: لا يقتل فيه قتيل، ولا يؤخذ لهم دية.

وذلك من شـدة غضـبه على بني بكر الذين طوعت لهم أنفســـــهم أن يحرموه أخاه الوحيد كليبا.

وفي كتاب البلاغة ٢ المعاني "وقال المهلهل مخاطبًا آل بكر، ومعلنًا شـدة غضـبه لقتلهم أخاه كليبًا:

يا آل بكر انشـــروا لي كليبًا يـــا آل بكر أين أين الفرار

ويطلب منهم إعادة كُليب إلى الحياة؛ وإعادة كليب إلى الحياة من المحال، فالأمر في قوله: انشروا لي؛ للتعجيز. وإشعارهم بأنه لا منجى لهم ولا مهرب، وأنه آخذ بثأره منهم لا محالة.

أليس حال لسانه يقول لكليب لا ترحل؟؟!

وفي العقد الفريد " ثم إن مهلهلا أسرف في القتل ولم يبال بأي قبيلة من قبائل بكر أوقع، وكان أكثر بكر قعدت عن نصرة بني شيبان، لقتلهم كليب بن وائل، وكان الحارث بن عباد قد اعتزل تلك الحروب، حتى قتل ابنه بجير بن الحارث، فلما بلغ الحارث قتل ولده قال:

- نِعْم القتيل قتيل أصلح بين ابني وائل!

فقيل له:

- إنما قتله بشسع نعل كليب.

وذلك أن المهلهل لما قتل بجيرا قال: بؤ بشسع نعل كليب! (أي ثأرًا لجزء من نعل كليب)!!

فغضب الحارث بن عباد، فركب فرسه، وتولى أمر بكر، فقاتل تغلب حتى هرب المهلهل وتفرقت قبائل تغلب.

لقد ظن الحارث بن عباد أن المهلهل قد أدرك بقتل ولده بجير ثأر كليب وجعله كفؤا له، وظن أن ابنه كان فداء لأن تنتهي هذه الحرب القاسية، ولكن فعل المهلهل كان قاسياً على الحارث بن عباد حين أهانه وأهان ولده بأن قال: بؤ بشسع نعل كليب!

فكانت ردة فعل الحارث أن ركب فرسه وتولى أمر القتال حتى انتصروا في هذه الحرب على المهلهل فتفرقت قبائل تغلب.

وفي هذه الحرب كما في العقد الفريد أيضاً، أسر الحارث بن عباد المهلهل وهو لا يعرفه ـــ واسم المهلهل هو عدي ـ فقال له:

- دلّني على عدي بن ربيعة وأخلي عنك.

فقال له عدي "المهلهل":

- عليك العهود بذلك إن دللتك عليه؟ قال:

-نعم. قال:

- فأنا عدي!

فجز ناصيته وتركه.

وفي إحدى أيام الحرب كما في الكامل في التاريخ " قتل همام بن مرة بن ذهل بن شيبان أخو جساس لأبيه وأمه، فمر مهلهل، فلما رآه قتيلا قال:

- والله ما قتل بعد كليب أعز علي منك، والله لا تجتمع بكر بعدكما على خير أبدا".

تحدثنا عن همجية المهلهل في الثأر والإسراف في القتل فمن يحدثنا عن المهلهل الإنســـــان الذي يود أن أخاه باق لم يرحل!!!

مراثي المهلهل في أخيه كليب

لما دفن المهلهل أخاه كليباً قام على قبره

يرثيه كما في "مجانين الأدب في حدائق العرب":

أهـــاج قـــذاء عيني الإذكـــار

هـــدوّا فـــالـــدموع لهـــا انحـــدار

وصـــــار الليل مشـــــتملا علينا

كـــأن الليـــل ليس لـــه نهـــار

وبـــــت أراقـــــب الجوزاء حتى

تقـــارب من أوائلـــهـــا انحـــدار

أصـــــــــرّف مقلتي في إثر قوم

تبـــاينـــت البلاد بهم فغـــاروا

وأبكي والنجوم مطلعات

كأن لم تحوِها عني البحار

على من لو نُعيت وكان حيا

لقاد الخيل يحجبها الغبار

دعوتك يا كليب فلم تجبني

وكيف يجيبني البلد القفار

أجبني يا كليب خلاك ذمُ

ضنينات النفوس لها مزار

أجبني يا كليب خلاك ذم

لقد فجعت بفارسها نزار

ساقاك الغيث إنك كنت غيثا

ويُسرا حين يلتمس اليسار

أبت عيناني بعدك أن تكفا

كأن غضا القَتاد لها شفار

وإنـــك كنـــت تحلم عن رجـــال

وتعفو عنهم ولـــــك اقتـــــدار

وتمنع أن يمســـــــــهم لســـــــان

مخـــافـــة من يجير ولا يجـــار

كـــأني إذ نعى النـــاعي كليبـــا

تطـــاير بين جنبي الشـــــــــرار

وقال أيضا يرثيه:

كليب لا خير في الدنيا ومن فيها

إذ أنـــت خلّيتهـــا فيمن يخلّيهـــا

كليـــب أيّ فتى عزّ ومكرمـــة

تحت السـفاسـف إذ يعلوك سـافيها

نعى النعـاة كليبـا لي فقلـت لهم

مالت بنا الأرض أو زالت رواســـيها

الحزم والعزم كانا من صـــــنيعته

ما كلّ آلائه يا قوم أحصـــــــيها

القـائـد الخيـل تردي في أعنتهـا
زهوا إذا الخيـل لجّت في تعـاديهـا
من خيل تغلب ما تلقى أسـنّتها
إلا وقد خصـبّتها من أعاديها
يهزهزون من الخطّيّ مـدمجـة
كُمتـا أنـابيبهـا زُرقـاً عواليهـا
نرمى الرمـاح بـأيـدينـا فنوردهـا
بيضـاً ونصـدرها حمراً أعاليها
ليت السـماء على من تحتها وقعت
وانشـقّت الأرض فانجابت بمن فيها
لا أصـلح الله منّا من يصـالحكم
ما لاحت الشـمس في أعلى مجاريها

ذكر في جواهر الأدب: "لم يكن لأوائل العرب من الشـعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته وأن أول من قصد القصائد، وذكر الوقائع المهلهل عدي

ابن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب فهو أول من رويت له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً وتبعه في مثل ذلك الشعراء كامرئ القيس وعلقمة وعبيد ممن أخرجوا لنا الشعر العربي في صورته الحاضرة".

لم يكن المهلهل ليقصد القصائد وينقل الشعر العربي من أبيات معدودة إلى قصائد لم تعهدها العرب إلا في زمانه ثم سار على ذلك الشعراء من بعده كامرئ القيس وغيره، ولولا دافع نفسي حزين قوي أطلق لسانه فقال الشعر بطريقة لم تعهدها العرب، ولم يقصد القصائد في غزل أو مديح ولكنه قصدها في رثاء أخيه وصنع طفرة قوية في إبراز أهم مظاهر من مظاهر العروبة آنذاك وهو قول الشعر، فقد الأخ ألم يولد نقطة انعطاف في حياة المرء كما ذكرنا سابقا، ولكن في حياة المهلهل كان لفقد الأخ انعطاف بمعنى آخر فهو لم

يصنع نقطة تحول في حياته الشخصية فحسب بل في تاريخ الشعر العربي والعروبة.

كما تركوني واحداً لا أخا لي

ذكر في نهاية الإرب في فنون الأدب في قصة ثأر صخر بن عمرو لأخيه معاوية بن عمرو "ركب صخر بن عمرو الشمّاء (فرس هاشم قاتل معاوية) صبيحة يوم حرام، فأتى بني مرّة (قوم هاشم)، فلمّا رأوه قال لهم هاشم:

- هذا صخر فحيّوه وقولوا له خيرا.

وهاشم مريض من الطعنة التي طعنه معاوية، فقال صخر:

-من قتل أخي؟ فسكتوا

فقال:

- لمن هذه الفرس التي تحتي؟ فسكتوا أيضا

ثم قال هاشم:

- هلّم أبا حسان إلى من يخبرك!

قال:

-من قتل أخي؟

فقال هاشم:

-إذا أصبتني أو دريدا فقد أصبت ثأرك!

فقال:

- هل كفّنتموه؟ قال:

- نعم، في بردين

وأروه قبره، فلمّا رأى القبر جزع عنده ثم قال: "كأنكم أنكرتم ما رأيتم من جزعي، فو الله ما بتّ منذ عقلت إلّا واترا أو موتورا، وطالبا أو مطلوبا حتى قتل معاوية، فما ذقت طعم نوم بعده."

والموتور: (أي من قتل قريب له ولا قدرة له على الأخذ بثأره)

وذكر صـــــاحب التعازي والمراثي "فلما أتى صخر قومه قالوا:

- اهجهم.

فقال صخر:

- مـا بيننـا أجـل من القـذع، لو لم أكفف عن هجائهم إلا رغبةً بنفسي عن الخنا لكففت.

والقذع: هو الكلام الفاحش.

وأنشد:

وعـــاذلـــةٍ هبـــّت بليـــلٍ تلومني
ألا لا تلوميني كفى اللّوم مـا بيـا
تقول ألا تهجو فوارس هاشـــــــــمٍ
ومـــالي إذ أهجوهم ثمّ مـــاليـــا
أبى الشـتم أنّي قد أصـابوا كريمتي
وأن ليس إهـداء الخنـا من شمـاليـا

إذا مـــا امرؤٌ أهـــدى لميـــتٍ تحيـــّةً

فحيـّاك ربّ النـّاس عنّي معـاويـا

وهوّن وجـــدي أنّني لم أقـــل لـــه

كـذبـت، ولم أبخـل عليـه بمـاليـا

ثم زاد عليها بيتاً بعدما أوقع بهم فقال:

وذي إخوةٍ قطّعـــت أرحـــام بينهم

كمـا تركوني واحـداً لا أخـا ليـا

ثم غزاهم في العـام المقبـل فلمـا دنـا وعلا الشماء قال:

-إني أخاف إذا طلعت أن يعرفوا طلعة الشـماء، لأن الشـــماء لهاشـــم (وبها أدرك صـــخرٌ من هو قاتل معاوية)

فحمم غرتها (غير لون جبهتها البيضـــــاء)

فلما أشرف على أداني القوم قالت امرأة لابنها:

- هذه، والله، الشماء. فنظر إليها فقال:

- الشماء غراء، وهذه بهيم.

البهيم (على لون واحد ليس في لون يخالف)

فلم يشعروا إلا والخيل دوائس، وقتل صخر دريداً وأصابوا في بني مرة، فقال:

ولقد قتلتكم ثناء وموحداً

وتركت مرّة مثل أمس المدبر

ولقد دفعت إلى دريدٍ طعنةً

نجلاء تزغل مثل غطّ المنخر

ألا كل شيء ما خلا اللّه باطلُ

لبيد بن ربيعة العامري أحد أشراف الشعراء، وصاحب البيت الشعري:

ألا كل شـــــــيء ما خلا الله باطل

وكـــل نعيمٍ لا محـــالـــة زائـــل

وصـاحب إحدى المعلقات العشـر المعروفة قبل الإسلام.

ففي جواهر الأدب " ولما ظهر الإســلام وأقبلت وفود العرب على النبي صــلى الله عليه وســلم جاء لبيد في وفد بني عامر وأسلم وعاد إلى بلاده وحسن

إسلامه، وتنسك وحفظ القرآن كله وهجر الشعر في الإسلام. وقد قيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة "

وفي دلائل النبوة "وذات يوم علق بجانب قصيدته السورة الثانية من القرآن، فأعجب بها لبيد أيما إعجاب، رغم أنه مشرك، واعترف بمجرد قراءة الآيات الأولى بأنه قد هزم، ولم يلبث أن أسلم، وفي ذات يوم سأله المعجبون به عن أشعاره، يريدون جمعها في ديوان، فأجاب: «لم أعد أتذكر شيئا من شعري، إذ أن روعة الآيات المنزلة لم تترك لغيرها مكانا في ذاكرتي».

أربد بن قيس

ذُكر في الشفا بتعريف حقوق المصطفى أنه "أخو لبيد بن ربيعة لأمه، وكان أربد شـــاعراً أيضـا، بعث الله عليه صـاعقةً فأحرقته كافراً بالله سبحانه وتعالى، وفيه نزل قوله تعالى:

﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ الرعد: ١٣

رثاء لبيد لأخيه أربد كما في ديوانه:

لـنْ تُفْنيـــــا خَيراتِ أرْ بـــدَ فـــابْكِيـــا حَتّى يَعُودَا
قُولا هُوَ البَطـــلُ المُحـــا مي حِينَ يُكْســـــوْنَ الحَديدَا
وَيَصُدُّ عَنَّا الظّالِميـــــــــ ـــــــنَ إذا لَقِينَا القَوْمَ صِيدَا
فاعْتَاقَهُ ريْبُ البَرِيّـــــــــ ـــــــــةِ إذْ رَأى أنْ لا خُلُودَا
فَثَوَى، ولَم يُوجَعْ، ولَمْ يُوصـــــَبْ، وكانَ هُوَ الفَقِيدا

وأنشد أيضًا:

لَعَمري لئِنْ كانَ المُخَبِّرُ صـــــــادِقاً
لَقَدْ رُزِئَتْ في ســـــالِفِ الدَّهرِ جعفَرُ

فتىً كانَ؛ أمّا كُلَّ شـــيءٍ ســـألْتَهُ

فيُعْطي، وأمـّا كـُلَّ ذَنـْبٍ فيَغْفِرُ

فإنْ يَكُ نَوءٌ مِنْ ســـَحابٍ أصـــابَهُ

فقـَد كـانَ يَعلُو فِي اللِّقـاءِ ويظفَرُ

وأنشد يرثيه أيضاً:

يُذَكِّرُني بأرْبَدَ كُلُّ خَصـــمٍ ألَدَّ تَخَالُ خُطَّتَهُ ضـــــرَارَا

إذا اقْتَصـَدوا فمُقْتَصِدٌ أريبٌ وإنْ جاروا ســـَواءَ الحَقِّ جارَا

ويهْدي القومَ، مُضـــطَلِعاً، إذا ما رَئيسُ القومِ بـالمَوْمـاةِ حـارَا

وقال:

ألاَ ذَهـــَبَ المُحـــافِظُ والمُحـــامِي

وَمَانعُ ضـــــَيْمِنَا يَوْمَ الخِصـــــَامِ

وأيْقَنـــــْتُ التَّفَرُّقَ يَوْمَ قـــــالوا

تُقُســـــــِّمَ مَالُ أرْبَدَ بالســـــــِّهامِ

وأرْبـــَدُ فـــارسُ الهَيْجـــَا إذا مـــا

تَقَعَّرَتِ المَشـــــــــاجِرُ بـالْخِيَـامِ

تَطِيرُ عَدَائِدُ الأشْـــرَاكِ شَـــفْعاً

وَوِتْراً والزَّعَـــامَـــةُ لِلْغُلامِ

وقال أيضاً:

بلينـــا ومـــا تبلى النجوم الطوالع

وتبقى الجبال بعدنا والمصـــــانعُ

وقد كنت في أكناف جار مضـــنة

ففـــارقني جـــارٌ بـــأربـــد نـــافع

فلا جزعٌ إن فرق الـــدهر بينـــا

فكـل فتى يومـاً بـه الـدهر فـاجع

ومـا النـاس إلاّ كـالـديـار وأهلـهـا

بهـــا يوم جلّوهـــا وغـــدوا بلاقع

وما المرء إلاّ كالشـــهاب وضـــوئه

يحور رماداً بعد إذ هو ســـــــاطع

ومـــا المـــال والأهلون إلاّ ودائع

ولابـــدّ يومـــاً أن تردّ الودائع

وما الناس إلا عاملان: فعامل

يتبر ما يبني وآخر رافع

فمنهم سعيدُ آخذ بنصيبه

ومنهم شقيّ بالمعيشة قانع

وقفة:

ومن أشهر ما قال لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وكل نعيمٍ لا محالة زائل

ففي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: " أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ "

دريد بن الصمة

دُرَيْد بن الصـمَّة يرثي أَخَاهُ عبد الله كما في الأصمعيات:

أَرَثَّ جـَديـدُ الحَبـْلِ مِنْ أُمِّ معبـدِ
بعـاقِبـَةٍ وأخْلفـَتْ كـلَّ موْعـِدِ
وبـانـَتْ وَلم أَحْمـد إِلَيـْك نوالهـا
ولَمْ تُرْجَ فِينـَا رِدَّةُ اليَوْمِ أوْ غـَدِ
وقلتُ لعراض وأصـحابِ عارضٍ
ورهطِ بني السـوداءِ والقومُ شـُهَّدي
علانِيـةً: ظُنُّوا بـألفَي مـُدَجَّجٍ
سـراتهُمُ فِي الفارسـيّ المُسـرَّدِ

أمـرتـهُـمُ أَمـْرِي بـمُـنـعـرجِ الـلـوَى
فلَمْ يستبينُوا النصح إلَّا ضُحى الغدِ
فلمَّا عصـــــوَني كنْتُ منهُمْ وَقد أرَى
غـوايـتَـهُـمْ وأنَّني غـيرُ مـُهـتـــدِ
وهـــل أنـــا إلـــَّا من غَزِيـــَّةَ إنْ غوَتْ
غويْتُ وإنْ تَرشـــــُدْ غزَّيَةُ أرشـــــُدِ
وإنْ تُعقـِبِ الـــْأَيـــَّام والـــدهر تعلموا
بنى قـَارب أنـا غضـــــــــاب بمعبـد
تَنادَوا فقالُوا: أردَتِ الخيلُ فَارِســـــــــًا
فقُلـــتُ: أعبـــدُ اللهِ ذلكمُ الرَدي
وإنْ يـــكُ عبـــدُ اللهِ خلَّى مَكـــانـــَهُ
فمـَا كـانَ وَقـافـاً وَلـَا طـائشَ اليـدِ
وَلـــَا برمـــاً إذَا الريـــاحُ تنـــاوحـــَتْ
برطبِ العِضـــاةِ والضـــريعِ المُعَضـــَّدِ
كميشُ الإزارِ خارجٌ نصـــفُ ســـاقِهِ
صـــــــبورٌ علَى العزَّاءِ طلاَّعُ أنجُـدِ

قليل تشـــــكيه المصـــــيبات حافِظٌ

من اليومِ أعقـاب الأحـَاديـثِ فِي غـدِ

صـَبا مَا صـَبا حتَّى عَلا الشـيبُ رأسـَهُ

فلمـَّا علاهُ قـالَ للبـاطـلِ: أبْعـَدِ

وهوَّنَ وجـدي أنَّني لمْ أقـُلْ لـّهُ

كـذبـتَ ولمْ أبخـَلْ بمـَا ملكـت يـَدي

فكنـت كـَأنِّي واثق بمصـــــــــدر

يمشـــي بِأَكْنَافِ الحبيب بمشـــهد

فجئـت إليـه والرمـاحُ تنوشـــــــــه

كوقعِ الصـياصـِي فِي النسـيجِ المُمدَّدِ

فطـاعَنْتُ عنـهُ الخَيـلَ حتَّى تنهنهـت

وحتَّى عَلاني حالك اللَّوْن أســـــــود

قتال امْرِئ آســـــــى أخاهُ بنفســـــــهِ

وأعلـَمُ أنَّ المرءَ غيرُ مُخلـــــدِ

كعب بن سعد الغنوي

إنه كعب بن سعد الغنوي قال عنه الأصمعي في فحول الشعراء:

" ليس من الفحول إلا في المرثية، فإنه ليس في الدنيا مثلها "

قال في الأصمعيات يرثي أخاه:

أخي مَا أخي لَا فَاحِشٌ عِنْدَ بيتِهِ
وَلَا وَرِعٌ عِنْدَ اللقَاءِ هَيُوبُ
هُوَ العسَلُ المَاذيُّ حِلْماً ونائلاً
وليثٌ إذا يَلقَي العدوَّ غَضُوبُ

لقـدْ كـَانَ أمـا حلمـه فمروح

علينـا وَأمـا جَهلـه فعزيـب

حَلِيم إِذا ماســـورة الْجَهْل أطلقت

حبى الشـيب للنَّفس اللجوج غَلُوبُ

هوتْ أمُّهُ مَا يبعثُ الصـبحَ غادِياً

ومـاذا يُؤدي الليـلَ حينَ يَؤُوبُ

كعـاليـةِ الرمحِ الرُدينيّ لمْ يكُنْ

إِذَا ابتـدَرَ الخيـلَ الرجـالُ يخِيـبُ

أَخُو شـتَواتٍ يعلَمُ الضـيفُ أَنَّهُ

سـيَكثُرُ مَا فِي قدرهِ ويطيبُ

إِذَا حـلَّ لمْ يُقصِ الْمحلـة بَيتـه

وَلكنـه الـأَدْنَى بحَيـثُ تنوب

حبيب إِلَى الخلان غَشـيانُ بَيتِهِ

جميلُ المُحيَّا شـبَّ وهوَ أديبُ

يَبيتُ الندَى يَا أمَّ عمروٍ ضـجيعَهُ

إِذَا لَمْ يكنْ فِي المُنقِيـاتِ حَلُوبُ

إذَا نزَلَ الأضـــــــياف أَو غبت عَنْهُم

كفى ذَاك وضـــــــاح الجبين أريب

وداع دَعـَا: يـَا مَنْ يُجيـبُ إِلَى النـَدَى

فلَمْ يســــــــتَجِبْهُ عندَ ذاكَ مُجيبُ

فقُلتُ ادعُ أُخرَى وأرفعِ الصــوتَ دَعْوَة

لَعــَلَّ أَبــَا المغوار مِنــْك قريــب

يجبـك كمـَا قـدْ كـانَ يَفْعـَلُ إنـَّهُ

بــَأمثــالِهــا رَحــبُ الــذِراعِ أرِيــبُ

كــأنَّ أبــَا المِغوارِ لمْ يُوفِ مَرقَبــاً

إذَا رَبــــَأ القومَ الغزاةَ رقيـــبُ

ولمْ يَدعُ فتياناً كِراماً لِميســــــــرٍ

إذَا اشـــتدَّ مِنْ ريحِ الشـــتاءِ هُبوبُ

فإنِّي لباكِيهِ وإِنِّي لصــــــــادقٌ

عَلَيــْهِ وَبَعض البــاكيــات كــذوب

فَتى أريحيــا كــَانَ يَهْتَز للنــدى

كمَا اهتَزَّ مِنْ ماءِ الحديدِ قضــِيبُ

وحـدَّثتُمـاني أنَّمـا الموتُ فِي القُرَى

فكيفَ وهَاتَا هضـــــــــبَةٌ وقليب

وَمَاء ســـــــــمَاء كَانَ غير مخمر

ببريـــــة تجرى عَلَيـــهِ جنوب

تَرى عَرَصـــاتِ الحيِّ تُمســـي كأنَّها

إذَا غـــابَ لم يحلـــل بهن عريـــب

ليبكـــك دَاع لم يجـــد من يُعينـــهُ

وطاوى الحشـــــا نائي المَزَار غَرِيبُ

تُرَوِّحُ تَزْهَاهُ صـــــبَاً مســـــتطيفَةٌ

بكـلِّ ذرا والمســـــــــتراد جـديـب

وفي التعازي والمراثي يقول كعب:

تقولُ سُـليمَى مَا لِجسـمِكَ شـاحِباً

كأنَّكَ يَحميكَ الشـــرابَ طبيبُ

فقلـــتُ ولمْ أَعي الجوابَ ولمْ أُلِحْ

ولِلدَهرِ فِي صـــمٌّ السـَّلَام نصـــيب

تتـــَابع أَحـــْدَاث تَخِر من إِخوَتي
وشـــيَّبْنَ رأَســـي والخُطُوبُ تُشـــيبُ
أَتَى دونَ حُلوِ العيشِ حتَّى أمَرَّهُ
نُكُوبٌ على آثـــــارِهنَّ نُكُوبُ
لَعَمْري لَئِنْ كانتْ أصـــابَتْ مصـــيبة
أَخي والمَنَايَا للرجالِ شـــــــــَعُوبُ
أَخي كـــانَ يَكفيْني وكـــانَ يُعِينني
على نـــائبـــات الـــدَّهْر حِين تنوب

الشاعر الأبيرد اليربوعي

يرثي أخاه بريداً كما في مجانين الأدب في حدائق العرب:

أحقاً عباد الله أن لستُ لاقياً
بريداً طوال الدهر ما لألأ العفر
فتى إن هوى استغنى يخرق في الغنى
فإن قل مالاً لا يؤدبه الفقر
فتى يشتري حسن الثناء بماله
إذا السنة الشهباء قل بها القطر
ولما نعى الناعي بريداً تغولت
بي الأرض فرط الحزن وانقطع الظهر

عساكر تغشى النفس حتى كأنني

أخو ســـــــكرة دارت بهامته الخمر

إلى الله أشـــكو في بريد مصـــيبتي

وبثي أحزاناً تضـــمنها الصـــدر

وقال أيضا في حماسة القرشي:

إذا ذكرت نفســـــي بُريداً تحاملتْ

إليَّ، فلم أملـــك لعيني مـــدمعـــا

وذكَّرنيـــك النـــاس حين تحـــاملوا

عليَّ وأضـــــحوا جِلدَ أجربَ مولعا

فلا يبعـــدنـــك الله خير أخي امرئٍ

فقد كنت طلاَّع النِّجاد ســـَميْدَعا

الشَّمردل يرثي أخاه كما في حماسة الخالدين:

أَلوف لأضـــياف الشـــتّاء كأنَّما
يراهُ الحَيـــا أيتـــامـــهُ وأراملـــهْ
رخيصُ نضـــــيجِ اللَّحمِ مُغْلٍ بنيِّهِ
إذا بردتْ عند الشـــــــتّاءِ أناملُهْ
إذا مـــا أتَى يومٌ من الـــدَّهر بيننـــا
فحيَّاك عنِّي شـــرقُهُ وأصـــائلُهْ
وكلُّ ســـَنا صـــبحٍ أضـــاءَ ومغربٍ
من الشـــَّمس وافَى جُنحَ ليلٍ أوائلُهْ

أبَى الصـــبَّرَ أنَّ العينَ بعدك لم تزلْ

يخـالطُ جفنَيهـا قـذًى لا يزايلُـهْ

وكنـتُ أُعيرُ الـدَّمعَ قبلـك من بكَى

فأنتَ على مَن ماتَ بعدك شـــاغلُهْ

يـــذكِّرني هيفُ الجنوبِ ومُنتهَى

نســيم الصـبَّا رمْســاً عليه جنادلُهْ

وهاتفةٌ فوقَ الغصـــــــونِ تفجَّعتْ

لِفقــدِ حمــامٍ أفردتــهُ حبــائلُــهْ

وســـَورةُ أيدي القوم إذ حُلَّتِ الحُبى

حُبَى الشـِّيب واســتَغْوَى أخا الحِلم جاهلُهْ

فعينيَّ إذ أبْكـاكمـا الـدَّهرُ فـابْكِيـا

لمنْ نصـــــــرُهُ قد بانَ منَّا ونائلُهْ

إذا اســـتعبرتْ عُوذُ النِّســـاء وشمَّرتْ

مـــآزرَ يومٍ لا تُوارَى خلاخلـــُهْ

وثِقْنَ بــه عنــد الحفيظــة فــارْعَوَى

إلى صـــــــــوتهِ جاراتهُ وحلائلُهْ

وكنتُ به أغشـــــــَى القتالَ فعزَّني

عليــه من المقــدارِ مــا لا أُقــاتلــُهْ

معد يكرب بن الحارث

يرثي أخاه شـــــرُحْبيل بن الحارث كما في الوَحشيَّات:

إنَّ جَنْبي عَنِ الفِراشَ لَنَـابِ ... كَتَجَافِي الأَسَرِّ فَوْقَ الظِرَابِ

مِنْ حَـدِيثٍ نَمَى إليّ فَمَـا تَرْ ... فَأُعَيْنِي وَلاَ يَسُـوغُ شَـرَابِي

مُرَّةٌ كَالزعَافِ أَكْتُمُها النَّاسَ ... عَلَى حَرمَلَّة كَالشَّـهَابِ

من شـرحبيل إذ تعاوره الأرمـ ... ـاح في حال صبوة وشباب

تَمِيمُ بن الحُبَاب

ففي الوحشـــيات قال تَمِيمُ بن الحُبَاب، يرثي أخاه عُمَيْراً:

وَذِي مَيْعةٍ لاَ يُســـــــــــتَطَاعُ قِيادُهُ
وفَي الخَيْلِ إلاَّ مُمْســـــــــكاً بِلِجَامِ
وَزَعَـتُ بـِه الغـَارَاتِ حَتَّى تَرَكتـُهُ
حَزوز الضـــُحَى من نهكة وَســـآمِ

محرز بن علقمة

محرز بن علقمة يرثى أخاه شـريك كما في كتاب الفاضل:

لقد وارى المقابر من شـــــــريك
كثير تكرّم وقليـــل عـــاب
به كنّا نصـــــــول على الأعادي
وننقض مرّة القوم الغضـــــــاب
صـــــــموت في المجالس غير عيّ
جدير حين ينطق بالصـــــــواب
كريم الخلق لا طبع غبين
ولا فحّاشـــــة نزق السـّــــباب

رثاء عطية بن معية

وفي الكامل في اللغة والأدب أن رجلا تميمياً قال على لسان حكيم بن معية بن ربيعة يرثي أخاه عطية بن معية:

لو لم يفارقني عطية لم أهن
ولم أعط أعدائي الذي كنت أمنع
شجاعٌ إذا لاقى، ورامٍ إذا رمى
وهادٍ إذا ما أظلم الليل مصدع
سأبكيك حتى تنفد العين ماءها
ويشفى مني الدمع ما أتوجع

الأخ المجهول

في الجليس الصـــالح الكافي أنه وجد مكتوباً

على قبرٍ مجهول هذه الأبيات:

أَخ طَال مَا ســـــــرني ذكره فقد صرت أشجى لَدَى ذكره

وَقد كنت أغدو إِلَى قصـــره فقد صـــــرت أغدو إِلَى قَبره

وَقد كنت دهري ضـــنينا بِهِ عَن النَّاس لَو مـد فِي عمره

وَكنـت إِذا جِئْت فِي حـاجـةٍ فـــأمري يجوز على أمره

فَصـــــــــارَ عَليّ إِلَى ربـه وَكـــــانَ عَليّ فَتى دهره

أتم وأكمـــل مـــا لم يزل وأنبل من كَانَ فِي عصـــــره

أَتَتْهُ الْمنيــة مغتــالــة ... رويدا تخَلّل من ســـــــتره

فَلم تغن أجنــاده حولــه ... وَلَا المســـرعون إِلَى نَصـــره

أَشـــــــد الْبَريَّة وجدا بِهِ ... أجــد الْبَريـــَّة فِي طمره

فَأصـــــْبح يهدى إِلَى منزل ... تنوق نــاعيــه فِي حفره

تغلق بـــالترب أبوابــه ... إِلَى يَوْم يُؤْذن فِي حشـــــره

وخلى الْقُصــُور الَّتِي شــادها ... وَحـــل من الْقَبْر فِي قَعْره

وَبدل بالعرش بســـط الثرى ... وريح ثرى الأَرْض من عطره

أَخُو ســـــــــفرةٍ مَاله أوبة ... غَرِيب وَإِن كَانَ فِي مصـــره

فلســـت مشـــيعه غادياً ... أَمِيرا يســـــــــير إِلَى ثغره

وَلـــَا متلقٍ لـــَهُ قـــَافِلـــًا ... بقتل عدوٍ وَلَا أســـــــــره

فَلـــَا يبعــدن أخي هـــَالكـــا ... فَكل ســـيمضـــي على إثره

فتيـــات لا ترحـل

الفارعة بنت طريف

هي أخت الوليد بن طريف الشـيباني الشـاري الذي خرج على هارون الرشـــيد فأرســـل إليه من يقتلـه وهو رأس الخوراج، ترثي أخـاهـا كمـا في الوحشيات:

أَلاَ يـــَا لَقَوْمِي لِلْنوائـــب وَالرَّدَى
وَدَهْرٍ مُلِحٍّ بـــِالكِرَامِ عَنيفِ
وَلِلْبـــَدْرِ مِنْ بيْنِ النُّجُومِ إذ هَوَى
وَلِلشـــَّمْسِ همّت بعده بِكُســـوفِ

أَيَا شـــــــَجَرَ الخَابُورِ مَالَكَ مُورِقاً
كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابنِ طَرِيفِ
فَتًى لاَ يُحِـبِ الزَّادَ إلاَّ مِنَ التُّقى
وَلاَ المَالَ إلاَّ مِنْ قَنَاً وَسُـــــــــيُوفِ
وَلاَ الخَيْلَ إلا كُلِّ جَرْدَاءَ شـــــَطْبَةٍ
وأجرَدَ ضـــــــَخْمِ المَنْكِبَيْنِ عَطوفِ
تَضـــــــــَمَّن جوداً حَاتِمِيًّا وَنائلاً
وَســـــَوْرَةَ مقدام وقَلْبَ حَصـــــِيفِ
فـَإن يـــك أَرْدَاهُ يَزِيـــدُ بنُ مَزْيَـــدٍ
فَرُبَّ زُحُوفٍ فَلَّهـــــَا بزُحوفِ
فَتًى لاَ يَلُومُ الســـــــَّيفَ حِينَ يَهُزُّهُ
إذَا مَا اخْتَلَى مِنْ معصـــم وَصَـــلِيفِ
ولَمْ تَغـــدُ يَوْمَ الحَرْبِ وَالحرْبُ لاقحٌ
وصـــــــــَمُّ القَنَا يَنْهَزْنَهَا بِأُنُوفِ

فَقَـدْنَـاكَ فِقْـدَانَ الرَّبِيعِ وَلَيْتَنَـا
فَدَيْنَاكَ مِنْ سَـــــــــاداتنا بأُلُوفِ
فَلاَ تجزْعَـا يـَا ابنَي طَرِيفٍ فَـإِنَّنِي
أَرَى المَوْتَ وقاعاً بكُلِّ شَـــــــــرِيفِ

وقـــفـــــــة :

قيل إنها انتهجت نهج الخنساء في الرثاء

أم عمرو بنت المكدم

قالت أم عمرو بنت المكدم ترثي أخاها ربيعة بن مكدم كما في بلاغات النساء:

ما بال عينك منها الدمع مهراق
سحاً فلا عازب منها ولا راق
أبكي على هالك أودى فأورثني
بعد التفرق حراً حزنه باقي
لو كان يرجع ميتاً وجد ذي رحم
ابقي أخي سالماً وجدي واشفاقي
أو كان يفدي فكان الأهل كلهم
وما أثمر من مال له واقي

لكن ســـــهام المنايا من نصـــــبن له

لم ينجــه طــب ذي طــب ولا راق

فـاذهـب فلا يبعـدنـك الله من رجـل

لاقي الـذي كـل حي مثلــه لاقي

فســـــوف أبكيك ما ناحت مطوقة

وما ســريت مع الســاري على ســاقي

تبكي لـــذكرتـــه عبري مفجعـــة

مــا إن يجف لهــا من ذكره مــاقي

الكنديـــــــــــــة

في التعازي "لقد أحسنت الكندية في قولها في إخوتها:

أبوا أن يفرّوا والقنـــا في نحورهم
فماتوا وأطراف القنا تقطر الدّما
ولو أنّهم فرّوا لكـــــانوا أعزّة
ولكن رأوا صـــــبراً على الموت أكرما
هوت أمهم ماذا بهم يوم صـــــــرّعوا
بجيشـــان من أســباب مجدٍ تصـــرّما

حمدة بنت ضرار

وفي التعازي أيضـــا "حمدة بنت ضـــرار ترثي أخاها قبيصة:

ما بات من ليلة قد شـــــــــد مئزره

قبيصـــــة بن ضـــــرار وهو موتور

لا تقرب الكلم العوران مجلســـــــــه

ولا يذوق طعاماً وهو مســـــــــتور

رابطة البهرية

وقالت رابطة البهرية ترثي أخاها كما في التعازي:

إن ابن عاصـــية البهري مصـــرعه

خلى عليك فجاجا كان يحميها

المانع الأرض ذات العرض خشـــيته

حتى تمنع من مرعي مجـانيهـا

وليلة يصـــــطلي بالفرث جازره

حيرى جمادية قد بت تســـــريها

لا ينبح الكلـب فيهـا غير واحـدة

من القريس ولا تســـــرى أفاعيها

كانت هذيل تمنى قتله ســـــــــلماً

فقـد أجيبـت فلا تعجـب أمـانيهـا

حلو ومر جميع الأمر مجتمع

مـأوى أرامـل لم تنعص عفـاريهـا

أم حكيم بنت عبد المطلب

وفي التعازي أيضـــا قالت أم حكيم بنت عبد المطلب ترثي أخاها الحارث:

مـالـك ديـار قـد افحمـت من ربهـا ميـت الحلال

ميت الرزية والمصـــيبة والفضـــيلة والفعال

فلئن هلكـــت لتورثن من خير ميراث الرجـــال

المـــال والمجـــد التـــل يد فضـــول صـــون وابتذال

الـعـز والـزاد الـكـثـير وانســـاكمها الرحال

التارك الكثير الخبيـــــ ـــث وباذل الكسب الحلال

سُعدى بنت الشمردل

وَقَالَت سعدى بنت الشمردل الجهنية ترثي أخاها كما في الأصمعيات:

أمنَ الحوادِثِ والمَنونِ أروَّعُ
وأبيتُ ليْلي كلَّهُ لَا أهجع
وأبيتُ مُخْليَةً أُبكّي أسعداً
ولِمثْلِهِ تبْكي العيونُ وتهْمعُ
وتبيَّنُ العيْنُ الطليحةُ أنَّهَا
تبْكي من الجزَعِ الدخيلِ وتدمَعُ
ولَقَدْ بدا لي قبلُ فِيمَا قدْ مضى
وعلمْتُ ذاكَ لوَ أنَّ علْماً ينفعُ

أنَّ الحوادثَ والمَنونَ كليهِمـــــا
لـــا يُعْتِبـــانِ ولوْ بَكى منْ يجزَعُ
ولقـــدْ علمـــتُ بـــأنَّ كـــلَّ مؤَخَّرٍ
يَوْمًا ســـــبيلَ الأَوَّلينَ ســـــيتْبَعُ
ولقـــدْ علمـــتُ لوَ أنَّ علْمـــاً نـــافعٌ
أنْ كـــــلُّ حيٍّ ذاهـــــبٌ فمودِّعُ
أفليْسَ فيمنْ قدْ مضـــــى لي عِبْرةٌ
هلَكوا وقـــدْ أيقَنـــتُ أنْ لَنْ يرجعُوا
ويل أمّ قتْلي بالرِصـــــــافِ لوَ أنَّهم
بلَغُوا الرَجـــاءَ لِقَوْمِهِمْ أوْ مُتِّعوا
كمْ منْ جميعِ الشـــمْلِ ملْتَئِمِ الهَوى
كَانُوا كذلكَ قبلَهمْ فتصـــــدَّعُوا
فلْتَبْكِ أَســـعْدَ فتية بســـباســـب
أقوَوْا وأصـــــــــبح زادهم يتمزع

جادَ أبنُ مجْدعةَ الكميُّ بنفســـــــــهِ

ولقدْ يرَى أن الْمَكْرّ لأشـــــــــــنع

وَيْلُمـــــهِ رجلا يليـــــذُ بظهرهِ

إبلا ونســـــــــــــأَلُ الفَيـافي أرْوَعُ

يردُ المياهَ حضـــــــيرَةً ونفيضـــــــةً

ورْدَ القَطاةِ إذا أســـــــــــمْأَلَّ التُبَّعُ

وبهِ إِلَى أُخْرَى الصـــــــــحابِ تلفتٌ

وبـــــهِ إِلَى المكروبِ جرْيٌ زَعْزَعُ

ويكبِّرُ الْقـــــدح العنود ويعتلى

بأُلي الصـــحاب إِذا أصـــات الوعْوع

ســـــــباق عَادِية وهادي ســـــــرِيَّة

ومقـاتـلٌ بطـلٌ وداعٍ مِســـــــــــقَعُ

ذهبَتْ بهِ بَهْزٌ فأصـــــــــبحَ جدُّها

يعْلو وأصـــبْحَ جدُّ قومِي يخْشـــعُ

أجعلت أســـــــــعد للرماح دريئة

هبلَتــْكَ أمــُّكَ أيَّ جردٍ ترْقَعُ

يـَا مُطعمَ الركــْبِ الجيــاعِ إذا همُ

حثُّوا المطيَّ إلَى العلَى وتســـــرَّعوا

وتجاهَدُوا ســـــــيْراً فبعْضُ مطِيِّهِمْ

حســـــــرْى مخَلَّفةٌ وبعْضٌ ظُلَّعُ

جوّابُ أوديـةٍ بغَيْر صـــــــحابـة

كشـــاف داري الظلامِ مشـــيَّعُ

هــذَا على إثْرِ الــذّي هوّ قبلــه

وَهِو المنايَا والســـــــبيلُ المهْيَعُ

هَذَا اليقينُ فكيفَ أنســـــــَى فقدَهُ

إنْ رابَ دهرٌ أوْ نَبا بيَ مضـــــــجعُ

إنْ تــأتــهِ بعــدَ الهــُدوِّ لحــاجــةٍ

تــدْعُو يُجبــْكَ لَهــَا نجيــبٌ أرْوَعُ

متحلـــِّبُ الكفَّيْنِ أمْيـــثُ بـــارع

أنف طُوالُ الســـــــاعديْنِ سميْدَعُ

سمْحٌ إذا مَا الشـــَوْلُ حارَدَ رســـْلُها

واســـــْتَرْوحَ المرَقَ النســـــاءُ الجوَّعُ

منْ بعد أســـــــعد إذا فجعت بيومه

وَالْمَوْت مِمـــَّا قـــد يريـــب ويفجع

فوَددْتُ لوْ قُبلَتْ بأســـــــــْعدَ فديةٌ

ممَّا يضـــــنُّ بهِ المُصـــــابُ الموجَعُ

غادرتْهُ يومَ الرصـــــــــافِ مجدَّلاً

خبر لعمرك يَوْم ذَلِك أشـــــــنع

صدق أو لا تصدق

أكثر من سبعين مرثية

قرأتها في رثاء الأخ

مقتطفات من كتاب

"أنس المسجون وراحة المحزون"

١. **قيل أنه مرّ بدير الخنافس أخوان من العراق فمات أحدهما ودفن قريب الدار فقال أخوه لما سار عنه:**

بجنبـك يـا دير الخنـافس حفرة

بها صـــــاحب رحب الذراع كريم

فكن حـــافظـــا حق الجوار

فـإنني غـدا راحـل وأنـت مقيم

□

٢. **مات عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله فجزع عليه عبد الله أخوه جزعا شديدا، كما هو الحال في كل المواقف التي ذكرت سابقا فأنشد متمثلا قول متمم بن نويرة:**

فإن يك أحزان وفائض عبرة

أثرن دما من داخل الجوف منقعا

تجرعتها من عاصم واحتسيتها

لأعظم منها ما احتسى وتجرعا

فليت المنايا كن خلفن عاصما

فعشنا جميعا أو ذهبن معا

الأخ الحقيقي

كعب بن زهير رضي الله عنه

كعب بن زهير شاعر مخضرم، والده زهير بن أبي سلمى صاحب إحدى المعلقات السبع وهو شاعر وقد قيل إنه "الشاعر بن الشاعر"

كيف كانت قصة إسلامه؟ وماذا صنع بجير بن زهير كي ينقذ أخاه من براثن الشرك؟

بجير الذي عمل جاهدا كي ينجي أخاه من براثن الشـــــرك أولاً، ومن القتل ثانياً، وقد كان رسـول الله قد أهدر دمه بسـبب أبيات شـعرية قالها أغضبت رسول الله.

لم يكن بجير الذي أســـــلم مبكرا ليقبل أن يقتل أخاه، ولم يكن ليقوى أن يخالف أوامر رســـول الله، فما كان منه إلا أن بعث إلى أخيه يطلب إليه الإقبال على رســـول الله فلقد علم بجير ان لا نجاة لأخيه من ســـيوف الإســـلام إلا باعتناق الإســـلام، فتبادلا عددا من الرســـائل هي من أروع الرســـائل كانت نتيجتها أن اقتنع كعبٌ بالإســـلام فأســـلم بين يدي رسول الله وحسن إسلامه.

ففي ســـيرة ابن هشـــام "ولما قدم رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم من منصـــرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير بن أبي سـلمى إلى أخيه لأبويه

كعب بن زهير يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه، وأن من بقي من شعراء قريش هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقتل أحدا جاءه تائبا، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض ".

إنها رسالة يستميله فيها إلى لإسلام ويحذره من قتل رسول الله إياه حتما إن لم يأت تائبا، فما كان لبجير أن ييأس من إسلام أخيه، وما كان له أن يقوى أن يفقد أخاه لأبويه، فقام بواجب الدعوة إلى الله، فدعا أخاه للإسلام بالتي هي أحسن فأفلح.

وكان كعب قد قال:

ألا بلغا عنى بجيرا رسـالة فويحك

فيمـا قلـت ويحـك هـل لكـا

فبين لنا إن كنت لسـت بفاعل

على أي شـيء غير ذلك دلكا

على خلق لم ألف يومـا أبـا لـه

عليـه ومـا تلفي عليـه أبـا لكـا

فإن أنت لم تفعل فلسـت بآسـف

ولا قـائـل إمـا عثرت لعـالكـا

سـقاك بها المأمون كأسـا روية

فـأنهلـك المـأمون منهـا وعلّكـا

ولما بلغت الأبيات رسـول الله صـلى الله عليه

وسلم أهدر دمه وقال:

"من لقي كعبا فليقتله"

فلم يطق بجيرًا ذلك على أخيه فسارع ليكتب إلى أخيه، وذكر له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمه ويقول له:

" النجاة وما أراك تنفلت"

ثم لما لم يجد جوابا كتب إليه مرة أخرى وهو لا يزال يرجو من الله تعالى أن يهدي شقيقه إلى لإسلام ويفوز بعفو رسول الله

"اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا قبل ذلك منه وأسقط ما كان قبل ذلك، فإذا جاءك كتابي هذا فأسلم وأقبل ".

فكانت هذه الرسالة آخر عهد لكعب في الكفر فاعتنق الإسلام بعدها.

أنقذ بجير أخاه وفلذة كبده من الشيطان وأهله أولاً، وأنقذ نفسه مما لا طاقة له به وهو فقد

أخيه ثانيا، ومما يزيد الأمر سـوءاً أن يفقد أخاه وهو مشـرك، فأنعم الله تعالى على بجير أن هدى الله تعالى أخاه كعبا إلى الإسـلام وأقر عيني أخيه به فأسلم كعب وقدم إلى المدينة وتوجه إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دخل ورسول الله مع أصحابه، قال كعب:

- فأنخت راحلتي بباب المسـجد فعرفت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم بالصـفة حتى جلسـت إليه فأسلمت وقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله الأمان يا رسول الله.

قال:

- ومن أنت؟

قال:

- كعب بن زهير.

وقيل أنه وثب عليه رجل من الأنصار فقال:

- يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دعه عنك، فإنه جاء تائبا نازعا".

وهكذا برز عفو الإسلام للتائبين وسماحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي.

فقال قصيدته الشهيرة بين يدي رسول الله:

"بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم إثرها لم يفد مكبول"

وورد في بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه بردته حين أنشده القصيدة، فسميت قصيدة البردة ـ والبردة هي كساء يلتحف به ـ التي كان يضعها رسول الله على كتفه، فتوارثها أبناء كعب بن زهير رضي الله عنه حتى اشتراها منهم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه إبان خلافته ثم توارثها الخلفاء جيلا بعد جيل،

وقد قيل إنها مازالت حتى يومنا هذا في أحد متاحف تركيا والله أعلم.

خالد بن الوليد رضي الله عنه

في كتاب المصباح المضيء أن الوليد بن الوليد (أخو خالد بن الوليد) كان قد أسلم قبل أخيه خالد وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضية وكتب إلى أخيه خالد وكان خالد خرج من مكة فاراً لئلا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة كراهة الإسلام، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد عنه وقال:

"لو أتانا لأكرمناه وما مثله سقط عليه الإسلام في عقل"

فكتب بذلك الوليد إلى أخيه خالد فوقع الإسلام في قلبه وكان سبب هجرته.

خرج خالد من مكة كراهة الإسلام!!! هكذا كان الحقد في قلب خالد بن الوليد ولكن رسول الله كان يطمع بإسلام خالد، ولم يكن كره خالد للإسلام سبباً كافياً لأن يصيب اليأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأل عنه أخاه الوليد الذي كان مشفقاً على أخيه من أن يظل على الكفر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَو أَتَانَا لأكرمناه وَمَا مثله سقط عَلَيْهِ الْإِسْلَام فِي عقله "

كان رسول الله واثقا من عقلية خالد، وأنه لا مكان للجهل في عقل خالد.

سرّ الوليد بهذا الكلام الجميل من رسول الله ﷺ أخيه خالد، فأسرع ليخبر أخاه بما قاله رسول الله طمعاً ﷺ إسلامه، وشفقة عليه من الكفر والضلال، فوقع ذلك ﷺ نفس خالد، فأعاد النظر ﷺ أمر رسول الله وأمر الإسلام، فأسلم رضي الله عنهم أجمعين، فكان الأخ سبباً ﷺ إسلام أخيه، وهذا هو الأخ الحقيقي الذي سعى جاهداً لينقذ أخاه من الجهل والكفر والضلال إلى العلم والنور والإيمان.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

في سيرة ابن هشام أن فاطمة بنت الخطاب أخت عمر، وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نعيم بن عبد الله النحام، رجل من قومه، من بني عدي بن كعب قد أسلم، وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فرقاً من قومه، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله

صلى الله عليه وسلم ورهطاً من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق، وعلي بن أبي طالب، في رجال من المسلمين رضي الله عنهم، ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، فلقيه نعيم بن عبد الله، فقال له:

- أين تريد يا عمر؟ فقال:

أريد محمداً هذا الصابئ، الذي فرق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله.

فقال له نعيم:

- والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟

قال:

- وأي أهل بيتي؟

قال:

- ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما، وتابعا محمدا على دينه، فعليك بهما.

فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها: قول الله تعالى «طه» يقرئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم، أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت

فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما، فلما دخل قال:

-ما هذه الهينمة التي سمعت؟

قالا له:

- ما سمعت شيئا.

قال:

- بلى والله، لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه.

وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه:

-نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك.

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع، فارعوى، وقال لأخته:

-أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤون آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد.

وكان عمر كاتبا، فلما قال ذلك، قالت له أخته:

- إنا نخشاك عليها!

قال:

-لا تخافي.

وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك، طمعت في إسلامه، فقالت له:

- يا أخي، إنك نجس، على شـــــــركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهر.

فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها من سورة طـه. فقرأها، فلما قرأ منها صدرا، قال:

-ما أحسن هذا الكلام وأكرمه!

فلما سمع ذلك خباب خرج إليه، فقال له:

- يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، فالله الله يا عمر. فقال له عند ذلك عمر:

- فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم.

فقال له خباب:

-هو في بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه.

فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته، قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنظر من

خلل الباب فرآه متوشحاً السيف، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع، فقال:

-يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف.

فقال حمزة بن عبد المطلب:

- فأذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ائذن له".

فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الحجرة، فأخذ حجزته، أو بمجمع ردائه، ثم جبذه به جبذة شديدة، وقال: "ما جاء بك يا بن الخطاب؟ فو الله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة". فقال عمر:

- يا رسول الله، جئتك لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله.

فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم، لله درك يا عمر يكبر رسول الله تكبيرة عظيمة بسبب إسلامك! أسعدت قلب رسول الله، وأيد الله تعالى الإسلام بعمر بن الخطاب فنعم التأييد، ومن هنا ندرك دور فاطمة بنت الخطاب في اعتناق أخيها الإسلام وشفقتها على أخيها من أن يبقى في الضلال وشفقته هو على شقيقته الذي أدمى وجهها فسال الدم، فرق قلبه، وتولد الفضول في نفسه ليعرف عن الإسلام فكان سبباً لنجاته من هلاك الكفر والضلال.

□

أخـــــويـــــات

ذكر الواقدي في مغازيه أن الوليد بن الوليد بن المغيرة أُســـر في غزة بدر حين كان مشـــركا، فكيف كـانـت ردة فعـل أخويـه خـالـد بن الوليـد وهشـــام بن الوليد؟ لم يطيقا أن يصـــاب أخوهما بمكروه كمـا هو حـال الأخ مع أخيـه، فقـدمـا في فدائه فأبى عبد الله بن جحش رضـــي الله عنه وهو آســـــــره حتى افتكاه بأربعة آلاف درهم وهو مبلغ كبير جدا ولكن حرية وســـــلامة الوليد لا تقدر

بثمن، فتحدث هشام بشيء وكأنه استكثر، المبلغ فانظر بماذا أجابه خالد:

"إنّهُ لَيْسَ بِابْنِ أُمّك، وَاَللّهِ لَوْ أَبَى فِيهِ إلّا كَذَا وَكَذَا لَفَعَلْت."

وكان هشام أخوهما لأبيهما، وإنما أردا خالدا أن يقول (لو أبى عبد الله بن جحش المزيد من المال لفعلت)! ولم يكن موقف هشام موقفا جباناً أو جشعاً ودليل ذلك أن كان له موقفا شهماً مع أخيه الوليد حين اعتنق الوليد الإسلام، وأرادت قريش التنكيل به فاعترضهم هشام بن المغيرة كما ذكر ذلك في سيرة ابن اسحاق " أن رجالاً من بني مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد وقد كانوا أجمعوا أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا، فقالوا له:إنا قد أردنا أن نعاقب هؤلاء الفتية على

هذا الدين الذي أحدثوا فإنا نأمن بذلك في غيرهم. فقال هشام: من فعل هذا فعليكم به وهذا أخي فعاقبوه وإياكم نفسه وأنشد:

ألا لا تقتلوا أخي غبيش فيبقى بيننا أبداً تلاحِ

ثم قال:

- احذروا على نفسه، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلاً.

فقالوا:

-اللهم العنه من يغرر بهذا الخبيث، فو الله لو أصيب في أيدينا لقتل أشرفنا رجلاً. فتركوه

أرادت قريش أن تعاقب فتية اعتنقوا الإسلام وعرفوا طريق الهدى ومن بين هؤلاء الفتية الوليد بن الوليد بن المغيرة، فماذا كانت ردة فعل هشام بن الوليد؟ لم يمانع في أن تعاقب قريش أخاه،

ولكن هيهات أن يقبل أن يقتلوه فحذرهم نفســـــه وقال:

ألا لا تقتلوا أخي غبيش... فيبقى بيننا أبداً تلاح

احذروا على نفسه، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشـــرفكم رجلاً فخشـــيت قريش ووصـــفت هشـــام بالخبيث وأدركت أنه لو أصـــاب منهم لقتل أشـــرفهم فانصـــرفوا ولم يمســـوا الوليد بن الوليد بسوء.

تســـارعت قريش تفتدي أبناءها وإخوتها بعد غزوة بدر ممن أسـروا في أيدي المسـلمين وكان ممن افتدى أخاه فروة بن الســـــائب قدم في فداء أخيه قيس بن الســـــائب وكان قد أســـــره عبدة بن الحسحاس أيضا بأربعة آلاف درهم.

وفي ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى أن عمرو بن الربيع قدم في فداء أخيه العاص بن

الربيع (زوج السيدة زينب) وكانت السيدة زينب رضي الله عنها هي من دفعت المال من قلادة لأمها السيدة خديجة رضي الله عنها.

لا شك أن العصبية القبلية التي تمتع بها العرب قبل الإسلام كانت سائدة حتى حاربها الإسلام وأبدلنا الله تعالى خيرا منها لكنها ظلت حاضرة في عقول عدد من العرب قديما وحديثا.

ذكرت هذه القصة أيضا في الاكتفاء حيث أن رجلا يدعى مقيس بن صبابة قُتل أخاه هشام بن صبابة بالخطأ على يد أحد الأنصار فأخذه الجزع على أخيه وشيء من الجاهلية فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مظهرا الإسلام يطلب الدية فأعطاه رسول الله ديته ولكن نفسه لم تكتف ولم تقنع، حتى إذا وجد قاتل أخيه عدا عليه فقتله، فأهدر رسول الله دمه، فكان من العشرة المهدور

دمهم في فتح مكة، فقتل في فتح مكة على يد نميلة بن عبد الله رضي الله عنه. والله المستعان.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ البقرة: ١٠٣

وفي الاكتفاء أيضا أن الصحابي قبيصة رضي الله عنه قُتل في حروب الردة حيث كان أحد قواد أبو بكر الصديق وقاتله يدعى خميصة، ثم تاب خميصة وأسلم وحسن إسلامه لكن أبا بكر قرر أن يعاقب خميصة على فعلته حتى تدخل أخوه معاوية فقدم هو وأخوه خميصة مسلمين إلى أبي بكر الصديق فقال أبو بكر لخميصة:

-أنت قتلت قبيصة، ورجعت عن الإسلام؟ قال خميصة:

- إنه قتل جاري. قال أبو بكر:

- وإن قتل جارك على ردة، قتلته، لن تفلت منى حتى أقتلك.

هنا تدخل الأخ الحنون الذي لم يكن ليطيق أن يتعرض أخوه لعقاب خليفة رسول الله فقال أخوه معاوية:

- يا خليفة رسول الله، كان يومئذ مرتدا كافرا موتورا، وقد تاب اليوم وراجع، ولكن نديه "أي نؤدي ديته".

قال أبو بكر السمح الذي يعلم أن الإسلام يجب ما قبله:

-فأخرج ديته. فقال:

-أفعل يا خليفة رسول الله. قال:

- فنعم الرجل كان قبيصة، ونعم السبيل مات عليه.

خميصة قتل قائد خليفة رسول الله لأنه قتل جاره المرتد وسلب ماله كما هي عادة الحروب وارتداد هذا الجار موجب لقتله واستحلال ماله، لكن خميصة غضب لجاره فقتل قبيصة وما حالت دونه ودون عقاب أبي بكر له إلا سماحة الإسلام للتائبين وشفاعة أخيه معاوية الذي حاور أبا بكر وأبدع ولذلك فإن الأخ هو العضد الشديد عند الشدائد وهو الروح الحانية وهو القلب الدافئ الحنون وهنا تتجلى أهمية الأخ في الحياة فالمواقف فقط هي التي تخبرنا من هو الأخ حين عجزت الأبيات والقواميس الإجادة في معنى الأخ.

عبدالله بن سهل وعبد الرحمن بن سهل أخوان قتل عبدالله بخيبر ولم يعرف قاتله، فتقدم صاحب الدم عبد الرحمن بن سهل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلبه مكلوم على أخيه ومعه

ابني عمه حويصة ومحيصة ولكنه كان أصغرهم سنا وكان ذا قدم في القوم -أي كان له شأن في قومه -فلما أراد أن يتكلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الكبر الكبر" أراد رسول الله أن يتكلم من هو أكبر منه سنا فامتثل عبد الرحمن لأمر رسول الله وترك المجال لابني عمه بالحديث، فتكلم محيصة وحويصة، ثم تكلم عبدالرحمن بعدهما فاستمع إليه رسول الله (ولم يمنعه حينها) فذكروا لرسول الله ما حل بعبد الله بن سهيل فعرض عليهم رسول الله عدد من الأمور فقال صلى الله عليه وسلم: أتسمون قاتلكم، ثم تحلفون عليه خمسين يمينا فنسلمه إليكم؟

- قالوا: يا رسول الله، ما كنا لنحلف على مالا نعلم.

- قال: أفيحلفون بالله خمسين يمينا ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ثم يبرؤن من دمه؟

- قالوا: يا رسول الله، ما كنا لنقبل أيمان يهود، ما فيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم.

فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم (أدى ديته) من عنده مائة ناقة. فاستسلم عبد الرحمن بن سهل لأمر رسول الله ورضي به وقنع.

وذكر في ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى أن ابن عباس رضي الله عنه "ترجمان القرآن" حين وصله خبر وفاة أخيه قثم رضي الله عنه، استرجع أي قال" إنا لله وإنا إليه راجعون " ثم أناخ عن الطريق أي "برك بعيدا عن الطريق الذي كان يسير فيه " فصلى ركعتين فأطال فيهما ثم قام فمشى إلى راحلته وهو يقرأ (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) وكان

قثم هذا من اجل الصـــــحابة رضـــــي الله عنهم أجمعين.

أربعـة أمور متتـاليـة قـام بهـا ابن عبـاس حين نعي إليه أخوه/

أولا: استرجع وهو حال المؤمنين.

ثـانيـًا: كـأن ركبتيـه لم تقويـا على حمـل جسده، وأراد أن يخفي ما بدا على محياه من الجزع والحزن من هول المصيبة فأناخ بعيدا عن الطريق!

ثالثا: صـــلى ركعتين؛ لأن الصـــلاة ملاذ المؤمنين عند الشدائد، وبها يحاول رضي الله عنه أن يســـــــتجمع قواه التي خارت من فاجعة الخبر، وبالصـلاة يسـتعين المؤمن على نوائب الدهر ويعين نفسه على الصبر ..

أخيرًا ردد قول الله تعالى:

﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ البقرة: ٤٥

لما في هذه الآية من بلسم تطيب بها الجروح، وتبرئ منها الآلام. والله المستعان.

بينما أنس بن مالك وأخوه البراء بن مالك عند حصن من حصون العدوّ يعني بالحريق - بالعراق-، كانوا يلقون كلاليب في سلاسل محمَّاة، فتعلق بالإنسان فيرفعون إليهم؛ ففعلوا ذلك بأنس. فأقبل البراء حتى تراءى في الجدار، ثم قبض بيده على السلسلة؛ فما برح حتى قطع الحبل. ثم نظر إلى يده، فإذا عظامها تلوح، قد ذهب ما عليها من اللحم. وأنجى الله أنس بن

مالك بذلك. ذكرت هذه القصة في (الأساس في السنة وفقهها).

خولة بنت الأزور التي وصفتها صفحات الكتب بالأسطورة

ولكن ما الذي جعل من خولة أسطورة؟ إنه وبلا شك حب الأخ.

ذكرت القصة في كتاب فتوح الشام في أحد معارك خالد بن الوليد مع الروم

"فبينما خالد يترنم إذ نظر إلى فارس على فرس طويل، وبيده رمح طويل، وهو لا يبين منه إلا الحدق والفروسية تلوح من شمائله، وعليه ثياب سود، وقد تظاهر بها من فوق لامته، وقد خرم وسطه بعمامة خضراء، وسحبها على صدره، ومن ورائه وقد سبق أمام الناس كأنه نار. فلما نظره خالد قال:

-ليت شـــعري من هذا الفارس؟ وأيم الله إنه لفارس شجاع.

ثم اتبعه خالد والناس، وكان هذا الفارس أســـبق الناس المشـــاركين، وكان رافع بن عميرة الطائي رضي الله عنه في قتال المشركين، وقد صبر لهم هو ومن معه، إذ نظر خالدا وقد أنجده هو ومن معه من المسلمين، ونظر إلى الفارس الذي وصفناه وقد حمل على عســـاكر الروم كأنه النار المحرقة، فزعزع كتـــائبهم وحطم مواكبهم ثم غـــاب في وســـــطهم، فما كانت إلا جولة الجائل حتى خرج وســـــنانه ملطخ بالدماء من الروم، وقد قتل رجالا وجندل أبطالا، وقد عرض نفسه للهلاك، ثم اخترق القوم غير مكترث بهم، ولا خـــائف، وعطف على كراديس الروم في الناس، وكثر قلقهم عليه، فأما

رافع بن عميرة ومن معه فما ظنوا إلا إنه خالد وقالوا:

- ما هذه الحملات إلا لخالد.

فهم على ذلك إذ أشرف عليهم رضي الله عنه وهو في كوكبة من الخيل فقال رافع بن عميرة:

-من الفارس الذي تقدم أمامك فلقد بذل نفسه ومهجته.

فقال خالد:

-والله إنني أشد إنكارا منكم له ولقد أعجبني ما ظهر منه ومن شمائله. فقال رافع:

-أيها الأمير إنه منغمس في عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا.

فقال خالد:

-معاشر المسلمين احملوا بأجمعكم وساعدوا المحامي عن دين الله.

فأطلقوا الأعنة وقوموا الأســـنة والتصـــق بعضـــهم ببعض وخالد أمامهم إذ نظر إلى الفارس وقد خرج من القلب كأنه شعلة نار والخيل في أثره وكلما لحقت به الروم لوى عليهم وجندل فعند ذلك حمل خالد ومن معه ووصل الفارس المذكور إلى جيش المسلمين قال فتأملوه فرأوه قد تخضب بالدماء فصاح خالد والمسلمون:

-لله درك من فارس، بذل مهجته في ســـــبيل الله وأظهر على الأعداء اكشف لنا عن لثامك.

فمال عنهم ولم يخاطبهم وانغمس في الروم فتصـــــايحت به الروم من كل جانب وكذلك المسلمون وقالوا:

- أيها الرجل الكريم أميرك يخاطبك وأنت تعرض عنه اكشف عن اسمك وحسبك لتزداد تعظيما،

فلم يرد عليهم جوابا فلما بعد عن خالد ســـار إليه بنفسه وقال له:

- ويحك لقد شـــغلت قلوب الناس وقلبي بفعلك من أنت؟

فلما لج عليه خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان التأنيث وقال:

-إنني يـا أمير لم أعرض عنـك إلا حيـاء منـك لأنـك أمير جليـل وأنـا من ذوات الخـدور وبنـات الســـتور وإنما حملني على ذلك إني محرقة الكبد زائدة الكمد. فقال لها:

-من أنتِ؟ قالت:

- أنا خولة بنت الأزور المأســور بيد المشـــركين أخي وهو ضـــــرار وإني كنت مع بنات العرب وقد أتاني الساعي بأن ضرار أسير فركبت وفعلت ما فعلت.

قال خالد:

- نحمل بأجمعنا ونرجو من الله أن نصـــــــل إلى أخيك فنفكه.

قال عامر بن الطفيل كنت عن يمين خالد بن الوليد حين حملوا وحملت خولة أمامه وحمل المســـلمون وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الأزور وقالوا:

-إن كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم من طاقة.

ولما حمل خالد ومن معه إذا بالروم قد اضطربت جيوشهم ونظر وردان (أمير المشركين) إليهم، فقال خالد:

-اثبتوا للقوم فإذا رأوا ثباتكم ولوا عنكم ويخرج أهل دمشق يعينونكم على قتالهم، فثبت المسلمون لقتال الروم وحمل خالد بالناس حملة منكرة وفرق القوم يمينا وشمالا وقصد خالد مكان صاحبهم

وردان عند اشـــتباك الأعلام والصـــلبان وإذا حوله أصـحاب الحديد والزرد النضـيد وهم محدقون به فحمل خالد عليهم حملة منكرة واشـــــــــتبك المســـلمون بقتال الروم وكل فرقة مشـغولة بقتال صـــاحبها وأما خولة بنت الأزور فإنها جعلت تجول يمينا وشمالا وهي لا تطلب إلا أخاها وهي لا ترى لـه أثرا ولا وقفـت لـه على خبر إلى وقـت الظهر وافترق القوم بعضـــــــهم عن بعض وقد أظهر الله المسلمين على الكافرين وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وتراجعت كل فرقة إلى مكانها وقد كمدت أفئدة الروم ما ظهر لهم من المســلمين وقد هموا بالهزيمة وما يمســكهم إلا الخوف من صــاحبهم وردان فلما رجع القوم إلى مكانهم أقبلت خولة بنت الأزور على المسلمين وجعلت تسـألهم رجلا رجلا عن أخيها فلم تر من المسلمين من يخبرها إنه نظره أو رآه أسيرا أو

قتيلا فلما يئســـت منه بكت بكاءً شـــديداً وجعلت تقول:

- "يا ابن أمي ليت شـعري في أي البيداء طرحوك أم بأي ســـنان طعنوك أم بالحســـام قتلوك؟ يا أخي أختك لك الفداء لو إني أراك أنقدتك من أيدي الأعداء ليت شـعري أترى أني أراك بعدها أبدا فقد تركت يا ابن أمي في قلب أختك جمرة لا يخمد لهيبها ولا يطفأ ليت شـعري لحقت بأبيك المقتول بين يدي النبي صـلى الله عليه وسـلم فعليك مني السلام إلى يوم اللقاء".

فبكى النـاس من قولهـا وبكى خـالـد وهم أن يعـاود بـالحملـة إذ نظر إلى كردوس من الروم قـد خرج من ميمنـة العقبـان فتـأهـب النـاس لحربهم وتقدم خالد وحوله أبطال المسـلمين فلما قربوا من

القوم رموا رماحهم من أيديهم والسيوف وترجلوا ونادوا بالأمان فقال خالد:

-اقبلوا أمانهم وائتوني بهم. فأتوا إليه.

فقال خالد:

-من أنتم؟ فقالوا:

- نحن من جند هذا الرجل وردان ومقامنا بحمص وقد تحقق عندنا إنه ما يطيقكم ولا يستطيع حربكم فأعطونا الأمان واجعلونا من جملة من صالحتم من سائر المدن حتى نؤدي لكم المال الذي أردتم في كل سنة فكل من في حمص يرضي بقولنا.

فقال خالد:

-إذا وصلت إلى بلادكم يكون الصلح إن شاء الله تعالى إن كان لكم فيه أرب ولكن نحن هاهنا لا

نصـالحكم ولكن كونوا معنا إلى أن يقضـي الله ما هو قاض.

ثم أن خالدا قال لهم:

-هل عندكم علم عن صـــــاحبنا الذي قتل ابن صاحبكم؟

(يعني ضرار الذي قتل ابن وردان)

قالوا:

-لعله عاري الجســـد الذي قتل منا مقتله عظيمة وفجع صاحبنا في ولده؟ قال خالد:

-عنه سألتكم. قالوا:

-بعثه وردان عندنا أســـيرا على بغل ووكل به مائة فارس وأنفذه إلى حمص ليرسـله إلى الملك ويخبره بما فعل.

ففرح خـالـد بقولهم ثم دعـا برافع بن عميرة الطائي وقال:

-يا رافع ما أعلم أحدا أخبر منك وأنت أوحد أهل الأرض في الحيل والتدبير فخذ معك من أحببت واتبع أثر القوم فلعلك أن تلحق بهم وتخلص صاحبنا من أيديهم فلئن فعلت ذلك لتكونن الفرحة الكبرى.

فقال رافع بن عميرة:

-حبا وكرامة.

ثم إنه في الحال انتخب مائة فارس شدادا من المسلمين وعزم على المسير فأتت البشارة إلى خولة بمسير رافع بن عميرة ومن معه طلب أخيها ضرار فتهلل وجهها فرحا وأسرعت إلى لبس سلاحها وركبت جوادها وأتت إلى خالد بن الوليد ثم قالت له:

-أيها الأمير سألتك بالطاهر المطهر محمد سيد البشر إلا ما سرحتني مع من سرحت فلعلي أن أكون مشاهدة لهم.

فقال خالد لرافع:

-أنت تعلم شجاعتها فخذها معك

فقال له:

-رافع السمع والطاعة.

وارتحل رافع ومن معه وسارت خولة في أثر القوم ولم تختلط بهم وسار إلى أن قرب من منطقة سليمة قال فنظر رافع فلم يجد للقوم أثرا فقال لأصحابه:

- أبشروا فإن القوم لم يصلوا إلى هاهنا.

ثم إنه كمن بهم في وادي الحياة فبينما هم كامنون إذا بغبرة قد لاحت

فقال رافع لأصحابه:

- أيقظوا خواطركم وانتبهوا.

فأيقظ القوم هممهم وبقوا في انتظار العدو وإذا بهم قد أتوا وهم محدقون بضرار فلما رأى رافع ذلك كبر وكبر المسلمون معه وحملوا عليهم فلم يكن غير ساعة حتى خلص الله ضراراً وقتلوهم جميعاً وأخذوا سلبهم، وإذا بعساكر الروم قد أقبلت منهزمة وأولهم لا يلتفت إلى آخرهم فعلم رافع أن القوم انهزموا فأقبل يلتقطهم بمن معه.

وكان خالد لما أرسل رافع بن عميرة في طلب ضرار ليخلصه ومعه المائة فارس، صدم المسلمون الروم فما لبثوا أن ولو الأدبار وركنوا إلى الفرار وكان أولهم وردان واتبعهم المسلمون وأخذوا أسلابهم وأموالهم ولم يزالوا في طلبهم إلى وادي الحياة فاجتمع المسلمون برافع بن عميرة الطائي وضرار بن الأزور وسلموا عليهم وفرحوا بضرار

رضـي الله عنه وهنؤوه بالسـلامة، وأثنى خالد على رافع خيرا ورجعوا إلى دمشـــق وفرح المســـلمون بالنصر."

إنها الأســـــطورة خولة بنت الأزور التي خرجت عن الأعراف لتحرر شقيقها ضرار بن الأزور الذي هو بحد ذاته أسطورة تاريخية له العجيب من بطولاته في الفتوحات الإسلامية.

خرجت خولة بنت الأزور لأنها كما قالت: محرقة الكبد زائدة الكمد

من أجل من؟ هل من أجل زوج؟ أو ولد؟ بل من أجل أخ.. خولة التي اشـــتعل فؤادها واحترق كبدها كمدا على أخيها ضـــرار فنعم الأخ ونعم الأخت.

هو الألم الذي لا يقاوم، فليس من كســـدت بضاعته خسر، ولكن من فقد أخاه فقد خسر.

خولة التي بحثت عن شـــــقيقها بمفردها واجتاحت صـــــفوف العدو واخترقتها، فلم تطلب الإذن من أمير الجيش، ولم تطلب مساعدة الرجال، ولم تنتظر من أحد أن يمد لها يد العون، ولكنها ســارعت لنجدة أخيها التي ما كانت تعلم أن كان حياً يرزق أو ميتاً فينعى.

خولة التي شدت انتباه أمير الجيش وفوارسه بقتالها الشـــــرس، ورمحها الملطخة بدماء العدو، فأثارت فضولهم وأدهشتهم بصنيعها، ثم رفضت أن تفصـــح عن هويتها حتى أصـــر عليها خالد أمير الجيش، فاعترفت بصـــيغة مؤنثة ومن صـــوتها الأنثوي، فازداد خالد وجيشـــه احتراماً لها وتأييداً لها، وجعلوا يعملون لجبر كســـرها، وتضـــميد

جرحها، فسارعوا للبحث عن ضرار ثم نجدته بأمر من أمير الجيش.

خولة التي ذكرت تلك الكلمات التي أبكت خالداً والجيش حين لم تجد أخاها بين الجرحى أو حتى بين القتلى.

"يا ابن أمي ليت شـــــــــعري في أي البيداء طرحوك، أم بأي سنان طعنوك، أم بالحسام قتلوك، يا أخي أختك لك الفداء، لو إني أراك أنقذتك من أيدي الأعداء، ليت شعري أترى أني أراك بعدها أبدا، فقد تركت يا ابن أمي في قلب أختك جمرة لا يخمد لهيبها ولا يطفأ، ليت شـــــــعري لحقت بأبيك المقتول بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فعليك مني السلام إلى يوم اللقاء".

كان حال لسانها تخبره ألا يرحل.

تظل "لا ترحل" هي أمل يخالجنا حين يفقد الأمل

لا ترحل ونتوسل إليهم ألا يرحلوا

فلو أنهم رحلوا من قلوبنا كما رحلوا من الدنيا!

ولكن يبقى حبهم وذكرهم باق يؤجج أفئدتنا وإن رحلوا

خولة التي لم تكتف أن يأمر خالد بخروج رجاله لتتبع ركبان أسر ضرار، بل أصرت على الخروج بنفسها، لتنقذ أخاها من الأسر، ولتجنب نفسها ويلات رحيله، حيث لا ينفع الندم أن لم تدركه بنفسها.

هنيئا لك يا ضرار بقلب أختك التي تكن مقدار من الحب لا يقاس بأي مقياس.

هنيئا لك يا ضرار بخولة

وفي موقع الجواهر الالكتروني يروي أحد الشقيقين قصته مع أخيه فيقول: كنت أنا وأخي نكره بعضنا، بل كنا أعداء منذ الصغر، وكبر معنا الكره والعداوة حتى بعد أن أصبحنا رجالاً، ولست أعرف بالضبط سر هذه العداوة التي نشأت معنا لكنها حقيقة واقعة، كانت الوالدة رحمها الله تقول لنا دائماً: يا أولادي انتم أخوان أشقاء ليس لكم "إلا بعض" ومهما كانت علاقتكم جيدة بالآخرين فسيظلون غرباء، وسيشمتون فيكم ويحاولون الاستفراد بكل واحد منكم، أما الوالد . رحمه الله ـ فقد كان دائما يغضب منا بسبب الكره والجفاء الذي يلاحظه بيننا، وكان دائما يقول للوالدة: الله يهديهم، ومهما طال الزمن فسيأتي اليوم الذي يعرفون فيه قيمة بعضهم ويتذكرون كلامنا لهم بأن الأخ لا يمكن تعويضه، ولو تألّم

الواحد منهم أو أصابه مكروه سيحتاج حتما لأخيه لا إلى صديقه.

ويضيف الأخ قائلا: ولما تزوجت أنا وأخي زادت عداوتنا حتى أن زوجاتنا دائما تحصـــــل بينهما مشـــاكل بدون ســـبب، مما زاد حيرة والدينا وزاد عجزهمـا عن مواجهـة الكره والبغض الـذي يزداد كل يوم.

واســـتمرت الأمور على ما هي عليه، ثم ماتت أمي وبعدها بخمس ســنين توفي والدي رحمهما الله رحمة واســـعة. وبعد موتهما قســـمنا المال بيننا، وبعدها لم يعد أحد منا يدري شـيئا عن الآخر، ولا يســأل عنه، وأصـبح لكل منا أبناء وبنات، لكنهم لا يعرفون بعضـهم لو تقابلوا في الشـارع، وفي يوم من الأيام ـــ وهنا كانت الطامة الكبرى ـــ دخلتُ في تجارة وخســرت كل أموالي وســاءت حالتي المادية،

وأصبت بمرض السكري، ومع زيادة الضغوط عليَّ وكثرة الديون، أصابتني جلطة في جانب الدماغ أفقدتني عيني اليمنى، وذلك من كثرة التفكير في حالي وفي أولادي بعد أن ضيعت كل شيء في لحظة طمع.

وفي يوم من الأيام ذهبتُ إلى المسجد وصليتُ الفجر وبكيت كثيرا ودعوت ربي، وقلت يا رب ارحم أمي وأبي، وارحم ضعفي، وقلة حيلتي، وعوضني خيرا في مالي، وأصلح أولادي، وبعد أن فرغتُ من الدعاء، جاء صديق لي وجار قديم وسلَّم عليَّ وقال:

- يا فلان لقد عرفتُ ما أصابك من أمراض وفقر بسبب خسارتك لجميع أموالك.

وبعد أسبوع زارني في بيتي وقال لي:

- أريدك بأمر ما.

فقلت له:

- تفضل قل ما لديك. فقال:

- هذا شيك بمبلغ ١٥ مليونا، ابدأ به حياتك من جديد، وحين تنفرج الأمور وتتيسر يمكنك ردها لي.

شكرته ثم أخذت منه الشيك وسحبته، وبدأت نشاطي من جديد في السوق واستعدت كلما خسرته، بل زادت أرباحي، وكنت في كل يوم أشكر الله ألف مرة.

وفي يوم تفاجأت بصديقي يزورني في البيت ويقول لي:

-جئتك اليوم في مسألة ضرورية لا تحتمل التأجيل.

قلت له:

-إذا كان الأمر يتعلق بالمال فأنا مستعد أن ادفع لك أضعاف ما دفعت لي.

فقال:

-الأمر أكبر بكثير من المال، هل تعلم من الذي أعطاك المال؟ قلت: - لا .

قال:

-إنه أخوك أرسلني إليك وقال لي يا فلان أسألك بالله ـــوهذا سر بيني وبينك ـــ أن تأخذ هذا المبلغ وتعطيه لأخي دون أن يدري أنه من عندي، فإني لا أستطيع رؤية أخي محتاجا وأتفرج عليه.

وأنا اليوم أتيتك أســـتحلفك بالله أن تزور أخاك في المســـتشـــفى فهو مريض في غرفة العناية بين الحيـاة والموت، وعلى الأقـل تـذهـب إليـه فهو يحبك جداً، ذهبت مسرعاً إلى المستشفى ودموعي تغســـل كُرهَ الســـنين لأخي ابن أمي وأبي، دخلت غرفة الإنعاش وإذا بعشـرات الأجهزة في جسـم أخي، تألمت وبكيت كثيرا ثم أمســـكت يده وقبلت رأســـه

وقلت له ســـــامحني، ففتح عينيه ونظر إليّ ورأيت الدموع تنحدر من عينيه، وضـــــم يدي ليده بقوة ولفظ أنفاسه الأخيرة.

صـرخت، أخي مات، أخي كان ينتظر قدومي ليودعني، أخي مات.

ثم انحنيت عليه أقبلُ كل ذرة في جســـــمه وأبكي بكاء شديدا.

والآن وفي كل يوم جمعة أمر على قبره وأبكي وأتذكر كلام أمي

"يا أولادي أنتم إخوان "وصـــدقت رحمها الله، فلم يقف معي في محنتي واحتياجي إلا أخي، حتى أن روحه لم تفارق جسـده إلا بعد أن رآني وأمسـك بيدي.

وفي الموقع الإلكتروني لـــــ MBC3 في واقعة غريبة، امتنع قط تمامًا عن الطعام والشـــراب لمدة تعدت الثلاثة أيام بعد فقدان شـقيقه، ومازال حتى الآن لا يتناول الطعام بشـــكل طبيعي كما يشـــير مالكوه، فهو فاقد للشـــهية وغير مقبل على اللعب كعادته، وانتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي صـــورة للقط وهو يقف بجانب صـــورة شـــقيقه المفقود، وحسب تقارير صحفية يقول مالكو القط: إن أماكن جلوس القط المفضـــــلة في المنزل الآن اختزلت في مسـند النافذة الذي أصـبح القط يقف خلفه ساعات طويلة وكأنه ينتظر الغائب.

في "الجزيرة الرياضـــــية" لم يتفاجأ العالم بالقصـــــة الجديدة التي كشـــــفت عن اللاعب الفرنســـــي فرانك ريبيري "نجم بايرن ميونيخ" الذي اعتنق الإســـلام عام ٢٠٠٦م، كان يدفع راتب

شقيقه ستيفن (٢١ عاما) عندما كان يلعب بفريق "أفيرونبايونيس" في دوري الدرجة الثانية الفرنسي.

القصة بدأت عندما وجد (ستيفين) نفسه من دون نادٍ بعد إفلاس فريقه السابق، فحاول اللاعب الدولي الفرنسي السابق (فرنك) مساعدة ستيفن من دون علمه، وكشف كتاب لوكيل أعماله السابق كريستوف هوتيو عن كرم اللاعب فرانك ومحبته لشقيقه الصغير(ستيفين)، وذكر أن اللاعب فرانك طلب من هوتيو التحرك ومساعدة شقيقه لإنجاد فريقه، وأنه يحتاج إلى ٢٥٠٠ يورو شهريا للعيش بطريقة جيدة".

أي أن فرانك قام بدفع تكاليف النادي لشقيقه الأصغر دون علمه!!

مشاعر لا يمكن أن تسطر بعبارات في كتاب أو دفتر.

مشاعر لا يمكن أن تُعزف، أو تُلحن.

ولكن يمكنها أن تهزم كل معاني الحب دون حب الأخ.

وفي موقع لها "أحدث العداء الأولمبي أليستيربراونلي ضجّة اعلامية عبر وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي أخيراً.

إلا أنّ السبب لم يكن فوزه في بطولة «وورلد ترياتلونسيريز» التي أقيمت في المكسيك، بل كان أمراً آخراً غير متوقّع.

فقد ذكر موقع «بي بي سي سبورت» أن أليستر تخلّى عن حلمه بالفوز ما أن شاهد شقيقه الأصغر العدّاء جوني يعاني من وعكة صحيّة قبيل أمتار قليلة من خط نهاية سباق الجري الطويل.

وقد سارع إلى مساعدته على بلوغ ذلك الخط. وهو موقف أثار إعجاب وتعاطف الكثيرين"

هل عرفتم لماذا الأخ هو كل شـــيء جميل في الحياة؟

هل عرفتم أن الأخ هو الجمال بعينه؟

عدد لا متناهي من القصـــص والحكايات في عالمنا، بين القديم والحديث، والمواقف التي لا نقوى حصـــرها، ولا يمكن التنبؤ بعددها ولكن يمكنها أن تجعل من فقد أخيه حائراً بائساً محروماً...

أشدّ حبـــًا لله

إن ســيدنا مصــعب بن عمير رضــي الله عنه كان له رأي آخر في التعامل مع شقيقه المشرك.

فقد فقه قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ البقرة: ١٦٥

ذكر ذلك في ســيرة ابن هشــام أنه مر على أخيه أبو عزيز وكان فيمن أســر في بدر حيث كان أبو عزيز حامل لواء المشــركين خلفا للنضــر بن الحارث، فلما رأى أخاه في الأسر قال لآسره:

- شد يديك به.

فقال له أبو عزيز:

- يا أخي أهذا وصاتك بي؟

فقال له مصعب:

- إنه أخي دونك.

لله درك يا مصـــــــعب يامن جعلت حب الله ورسوله أحب إليك حتى من نفسك

قال تعالى:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ التوبة: ٢٤

وقد ثبت في الصحيح البخاري عنه صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»

ثم أسلم أبو عزيز بعد ذلك فقرت عين الأخ بأخيه والحمد لله رب العالمين.

كذلك كان سعد بن أبي وقاص حيث قال: والله، ما حرصت على قتل رجل قط حرصي على قتل عتبة بن أبي وقاص.. ولقد كفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله». وذلك في الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والخلفاء

حقا يستحق القتل من أدمى وجه رسول الله، ولكن لم يكن لذلك أن يكون بيد أخيه رحمة من الله تعالى الذي أرسل رسوله رحمة للعالمين، وأن الله

تعالى لم يمكن ســـــعداً من ذلك رحمة ولطفاً به وبالمؤمنين فإن في ذلك بلاء من ربك عظيم.

وبرغم أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم جردوا أنفسهم من أي حب وقرابه دون حب الله ورســـــوله إلاأن التاريخ أبدا لم يحدثنا أن أخا قتل أخاه في ســـبيل الدعوة حتى لا تكون فتنة والله أعلم.

أما الصحابي محيصة رضي الله عنه فلقد كان له موقف أجمل وأجمل وذلك عندما امتثل لأمر رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم كما في الاكتفاء حين قال: "من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه"، فوثب محيصة رضي الله عنه على تاجر من تجار يهود يدعى ابن ســـــنينة فقتله، فقام إليه أخوه حويصة وكان مشركا يضربه ويقول له:

- أما والله لرب شحم في بطنك من ماله.

فقال سيدنا محيصة رضي الله عنه:

-والله لقد أمرني بقتله من إن أمرني بقتلك لضربت عنقك!. قال:

-أو الله لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني؟ قال:

- نعم، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها. قال:

- والله إن دينا بلغ منك هذا لعجب!

وذكر أنه جعل ينتفض من الليل فيعجب من قول أخيه محيصة حتى أصبح وهو يقول:

-والله إن هذا لدين.

ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم.

إنه الولاء والبراء في الإســـــــلام لله درك يا محيصة حين أحببت رسول الله فأحب الله تعالى أن تقر عينك بأخيك وقد أســـــــلم فكان حبك لله ولرسوله وامتثالك لأمر رسول الله سببا في إسلام

أخيك ورفيقك حويصة رضي الله عنه وعنك وعن سائر صحابة رسول الله.

وما كان لرسول الله وهو صاحب القلب الرحيم لأن يأمر أخ بقتل أخيه، وما كان له وحاشاه أن يشق على المسلمين أمر دينهم.

□

قـــالـــــــوا:

في موقع الجواهر كتب أحدهم:

الأخ لا يعـــوض.

وفي منتدى مكســـــات الإلكتروني فتاة فقدت أخاها فكتبت:

(مـــات قلبـــي يـــا أخـــي)

وأخرى قالت في صفحتها في الفيس بوك:

(كيـــف يدّعـــي الحـــزن مـن لـم يفقـــد أخ؟؟)

وقالت فتاة فلسطينية فقدت شقيقها على حسابها تويتر:

(مات فقيدي فما عادت الحياة حياة)

وفي إحدى صفحات الانترنت قرأت العبارة التالية:

"الأخوة".. معنى لا يفهمه إلا من فقد شقيقه!!

وكتبت أخرى في موقع نادي الهلال السعودي:

أخي

انتهت الحكاية

فنم بسلام

على قلبك السلام

انتهت الحكاية يا أخي

والخـــوف كـــان فيـها بطـــلاً

والمـــوت كان فيها الختـــام

وآخر يتساءل في صفحته في الفيس بوك:

أحقـــاً مـــات أخـــي؟

وفي صـفحة "مات أخي ومات معه كل شـيء"

على الفيس قرأت هذه الأبيات:

فليتك لو بقيت لضعف حالي

وكان الناس كلهم فداك

يعز علي حين أدير عيني

أفتش في مكانك لا أراك

ولم أر في سواك ولا أراه

شمائلك المليحة أو حلاك

ختمت على ودادك في ضميري

وليس يزال مختوما هناك

وقالت أخرى:

أخـي نائـم فـي قبـره مستيقـظ فـي قلبـي

ومن الأمثلة الشائعة:

- قيل لـــرجل: مات أبوك قال: ملكـت أمـــري، قالـــوا: مـات أخـــوك، قـال: تلـك قـاصمـــة ظهــري.

- إذا مات أبوك ماتت النصـــيحة، وإذا مات أخوك انكسرت يمناك..

ختاماً

خلاصة الكلام

وزبدة المقام

في توصيف الأخ والأخوة

إنه شـــيءٌ من نعيم الجنة الذي لا يمكننا أن

نفقه معناه!

حنان حمود الورافي

الفهرس

الإهداء ..... أ
يُحكى أنَّ... ..... ب
معنى الأخ..!! ١
لحظة من فضلك!!! ٣
علامة تعجب! ٦
أوليس نحن إخوانك؟ ٩
الموتـــور الثـــائر ١٤
أسلم قبلي واستشهد قبلي..... ١٨
والله ما دعوته ولا غدرت به ٢٨
انتظـــــر!! ٣٥
قصة جذيمة ٣٦
مهـــلاً! ٣٨
من رثاء متمم لأخيه مالك ٤١
لقتلت نفـسي! ٤٤
دعوها فإنها لا تزال حزينة أبدًا ٥٤
شعر الخنساء في رثاء أخويها كما في ديوانها: ٥٩

كأنّ الليل ليس له نهارُ ٦٨
مراثي المهلهل في أخيه كليب ٨١
ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ ٩١
أربد بن قيس ٩٣
رثاء لبيد لأخيه أربد كما في ديوانه: ٩٤
دريد بن الصمة ٩٨
كعب بن سعد الغنوي ١٠١
الشاعر الأبيرد اليربوعي ١٠٦
الشَّمردل يرثي أخاه كما في حماسة الخالدين: .. ١٠٨
معد يكرب بن الحارث ١١١
تَميمُ بن الحُبَاب ١١٢
محرز بن علقمة ١١٣
رثاء عطية بن معية ١١٤
الأخ المجهول ١١٥
فتيات لا ترحل ١١٧
الفارعة بنت طريف ١١٧
وقفة: ١٢٠
أم عمرو بنت المكدم ١٢١
الكندية ١٢٣

حمدة بنت ضرار ١٢٤
رابطة البهرية ١٢٥
أم حكيم بنت عبد المطلب ١٢٧
سُعدى بنت الشمردل ١٢٨
صدق أو لا تصدق ١٣٣
مقتطفات من كتاب ١٣٤
الأخ الحقيقي ١٣٦
كعب بن زهير رضي الله عنه ١٣٦
خالد بن الوليد رضي الله عنه ١٤٤
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١٤٧
أخـــــويـــــات ١٥٥
أشدّ حبـــًا لله ١٩٤
قـــالـــــوا: ٢٠٠
ختامًا ٢٠٤
الفهرس ٢٠٥

فقدت أخي
إثر رصاصة طائشة قضت عليه..
فكان هذا الكتاب..

هنان حمود الورافي

Hanan6893@gmail.com